72336 — 73864

REGD No. LW /NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

OCTOBER — 1991

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مستقبل الأمة العربيّة الإسلاميّة
لنخليج
بعد حرب ا

دروس وعبر يجب أن ينتفع بها

وفجوات وثغرات يجب أن تسدَّ

ملتزم النشر و التوزيع
دار عرفات للترجمة ، والنشر و التوزيع
دارة الشيخ علم الله، رائى بريلى (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الاعظمى

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

العدد التاسع — المجلد ٣٦
جمادى الأولى والآخرة ١٤١٢هـ — نوفمبر و ديسمبر ١٩٩١م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص ب ٩٣ ، لكهنؤ (الهند)

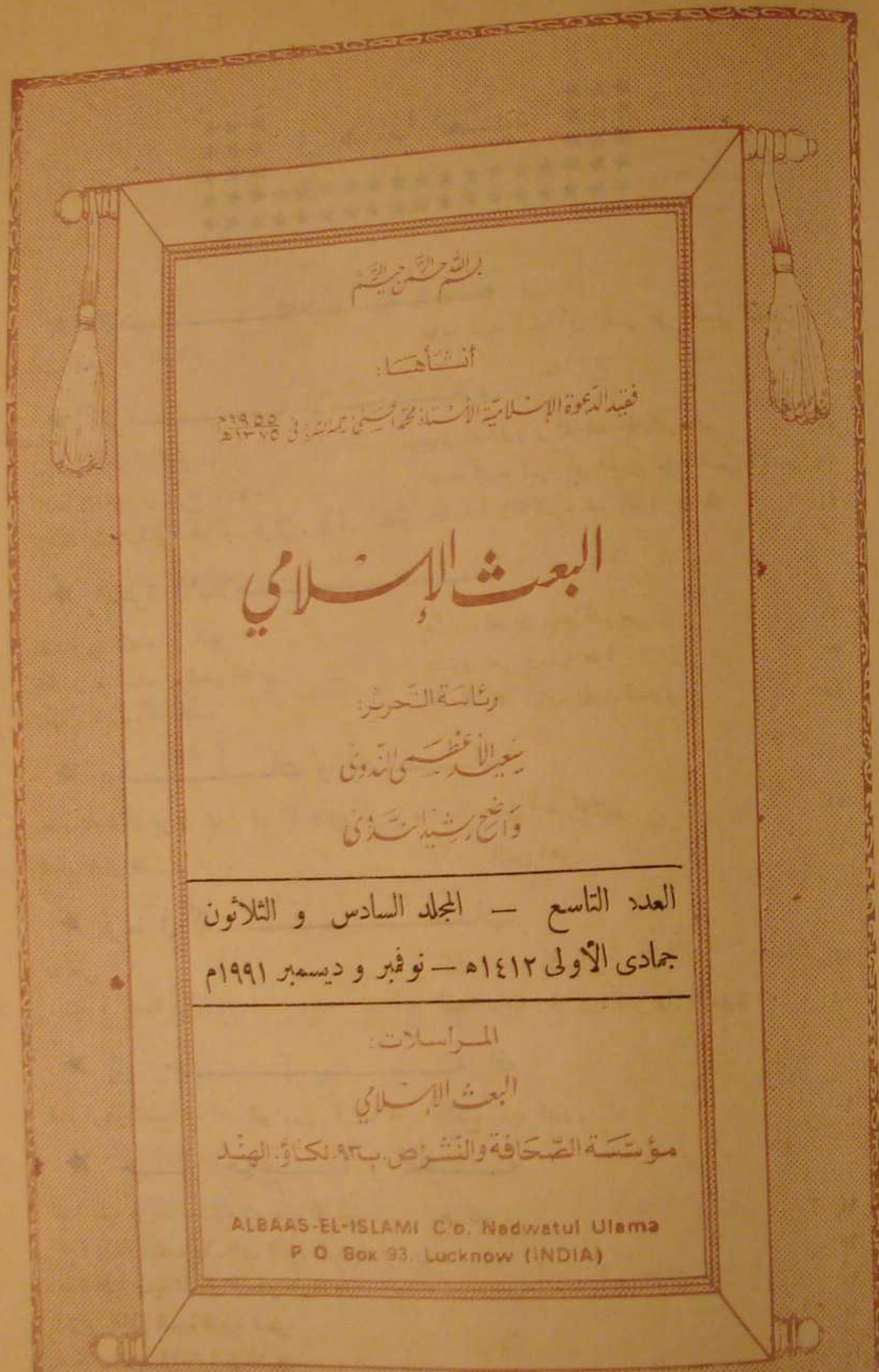

إلى الاخوة القراء

بمشيئة الله تعالى و توفيقه دخلت المجلة فى عامها **السادس و الثلاثين** ، و لا يسعنا بحماه هذا التوفيق الكريم إلا أن نحمد الله سبحانه و تعالى و نشكره بصفة دائمة ، على ما أكرم به إيانا من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، و نرجو أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود فى هذه الجبهة الدقيقة ، و خاصة فى الظروف الحالية الحرجة التى تتعرض لها الأمة الاسلامية، وهى أخطر و أدق مرحلة من تاريخها الحاضر ، و إن أدنى خطأ فيها يوديها إلى نتائج مريرة و وخيمة جداً ، لا يعلم مداها إلا الله ، فلندع الله أن يثبتنا على الجادة ، و يأخذ بأيدينا لأداء أمانة الكلمة و القيام بها فى هذه المرحلة الدقيقة التى تزل فيها الأقدام و تتثبط فيها الهمم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : ستون روبية
ثمن النسخة ست روبيات:

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

١٨/ دولاراً بالبريد السطحى .
و ٣٥/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

فى هـذا العـدد

★ الافتتـــــاحيـــــة

أدب الدعوة و الاصلاح — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ٣

★ التوجيـــــه الاســـــلامى

العلقة ، فى القرآن الكريم — معالى الدكتور راشد عبد الله الفرحان ١٠

المسد و الجزر فى تاريخ الاسلام — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ١٦

الرابطة الاسلامية هى أعظم الوسائل التى تربط بين المسلمين — سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز ٢٤

★ الدعوة الاسلاميـــــة

الدعوة بين النصحية و التعيير — دكتور محمد بن سعد الشويعر ٢٨

التكفير و أسبابه فى العصر الحاضر — دكتور عمر يوسف حمزة ٣٦

معقولية الشريعة الاسلامية — الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى ٤٥

★ دراســـــات و أبحـــــاث

نظام القضاء الشرعى فى الدول غير الاسلامية — الأستاذ عتيق أحمد القاسمى ٥١

التعليم العالى للنساء فى الغرب — دكتور أنيس أحمد ٦٠

★ قراءة فى كتـــــاب

المرتضى — دكتور حسن الأمرانى ٧٣

باكثير فى ملحمة عمر — السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى ٨١

★ إلى رحمـــــة الله

العالم الربانى الشيخ محمد أحمد الفوليورى ، فى ذمة الله — واضح رشيد الندوى ٩٠

★ أخبـــار اجتماعيـــة و ثقافيـــة

ندوة علمية فى مدرسة الاصلاح « سرائى مير » — قلم التحرير ٩٤

ندوة رابطة الأدب الاسلامى العالمية فى بوفال — » » ٩٥

ندوة علمية لجمعية المثقفين المسلمين فى الهند — » » ٩٧

المؤتمر العالمى للسيرة النبوية المطهرة — » » ٩٩

مستشار جديد لرابطة العالم الاسلامى — » » ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتـــاحيـــة :

أدب الدعوة و الاصلاح

[هذه كلمة افتتح بها سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس رابطة الأدب الاسلامى العالمية ، الندوة السابعة للرابطة ، المنعقدة فى دار العلوم تاج المساجد بمدينة بوفال (الهند) فى الفترة ما بين ٤-٦ ربيع الثانى ١٤١٢هـ الموافق ١٣-١٥ من شهر أكتوبر ١٩٩١م .

يسعدنا أن ننشر هذه الكلمة القيمة كافتتاحية هذا العدد]

[التحرير]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين ، و بعد .

فيقول الله تبارك و تعالى :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » (١) .

سادتى و إخوانى ! إن هذه الآية الكريمة بنصها و فصها معجزة كاملة ، وكل كلمة فيها معجزة فى مكانها ، لا بديل لها ولا عوض ، وما يمكن أن يوجد

(١) سورة إبراهيم : الآية ، ٢٥ .

تصوير للكلام البليغ الدعوى ، و الأدب المؤثر الهادف ، ليس المغير للتفكير بـل المغير للسير و المصير ، و لقدرة نفوذه فى القلوب و النفوس و العقول و لاحتوائه على أكبر مساحة مكانية و على أكبر مساحة زمانية فى التأثير والنفع من هذه الآية ، فالله سبحانه و تعالى يقول :

« ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ».

الشرط الأول : أن تكون الكلمة طيبة فلا قيمة لكلمة عند الله و عند رسوله و عند من شرح الله صدره للحقيقة إذا لم تكن طيبة ، مهما كانت لبقة ، ومهما كانت بليغة ، ومهما كانت ساحرة ، و لكنها إذا لم تكن كلمة طيبة فلا قيمة لها عند الله و عند رسوله و عند العارفين بالحقيقة ، إن تاريخ الأدب العالى و الشعر فى مختلف اللغات و الأزمنة و البلاد يدل على إهمال اتصاف الكلمة الأدبية و البيانية بالطيبة بصفة عامة ، يبرهن على ذلك تاريخ الأقطار الثقافى التى سلمت لها الزعامة فى الأدب و الفلسفة و العلوم الرياضية ، كيونان و إيران ، و بلاد الغرب ، و الهند ، قبل أن يصل إليها الاسلام .

فالشرط الأول أن تكون الكلمة كلمـــة طيبة ، يقول الله عز وجل : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة » ، كانت هنالك أشياء كثيرة ، كان يمكن أن تشبه الكلمة الطيبة بها، كالمعادن الكريمة والجواهر الغالية ، وبالآلات و بالقوى ، و بالطاقات السياسية وغير السياسية ، و المادية و العسكرية ، ولكن الله اختار للتشبيه شجرة طيبة ، ففى هذا الوجود المادى ، وفى هذا الكون الواسع و العالم الفسيح ، أشبه شىء بالكلمة الطيبة ، هى الشجرة الطيبة ، فالكلمة الطيبة لابد أن يكون لها أصل راسخ فى الأرض ، أصل راسخ فى القلب ، و الشجرة لاتنمو ، ولا تثمر ، ولا تبقى ، ولا تزدهر إلا إذا كان لها أصل ثابت ، كلاهما

لابد أن يكون لهما أصل ترجعان إليه ، و تعتمدان عليـــه ، و كما أن الشجرة الشجرة الطيبة إذا نبتت ونمت ، فانها تمتد فروعها إلى مكان قد لا يتصور الغارس نفسه أن هذه الشجرة الصغيرة تمتد إلى هذا المكان العالى و إلى هذا المرتفع و تملأ هذا المكان الفسيح ، كذلك الكلمة الطيبة تبتدىء من بداية لا ترى حتى بالمكبرة ، و لكنها إذا نمت و ترعرعت ، و إذا ازدهرت و أثمرت فانها تمتد فروعها إلى آفاق السماء و أرجاء الأرض .

ثم إن الله سبحانه و تعالى قد ذكر فى هذه الآية الكريمة المعجزة الخالدة ، أن أثمار هذه الشجرة لا يتقيد بزمان دون زمان ، و بقرن دون قرن ، و ببيئة دون بيئة ، وبفترة زمانية تاريخية دون فترة زمانية تاريخية ، بل إنها « تؤتى أكلها كل حين باذن ربها » ، فمتى كان ظهور الاسلام ؟ و متى كانت البعثة المحمدية ؟ و إلى هذا الوقت لا تزال آثارها ملموسة ، ملحوظة مؤقرة محترمة ، و هى التى لم تزل تسيطر على العقول والنفوس أكثر مما تسيطر عليها الحكومات والمنظمات فتؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، و كان من غرسها المجتمعات المؤمنة الصالحة الفاضلة ، و العلوم النافعة ، و المدارس الفكرية السليمة البناءة ، و المكتبات الغنية الزاخرة ، و عمليات إنقاذ البشرية و التقدم بها ، و القضاء على الظالم و الاتجاهات الفاسدة و رسوم الجاهلية ، و الله إنها لمعجزة لو آمن إنسان بسماع هذه الآية فقط كان مصيباً و محققاً .

أيها السادة ! إن الدعوة لها أركان ثلاثة فى نظرى و دراساتى القاصرة ، (و دراستى لتاريخ الدعوات والنبوءات و الرسالات) ، تحتاج أولا إلى حسن النية ، و الاخلاص ، ثم إنها تحتاج إلى لغة مفهومة لبقة لائقة بمستوى المستمعين و لائقة بالزمان و المكان ، و مؤثرة تشق طريقها إلى أعماق النفوس ، و ما

يكفى أن تكون كلمات مركبة و مجموعة كلمات لبقة ، بل يكون فيها سحر و جاذبية نفسية و قلبية ، و الشئ الثالث أن يرافق هذه الدعوة شئ من التألم و الرقة و الاشفاق على مصير المستمعين .

و أحكى لكم حكاية حضرتنى الآن ، و هى أن أحد أبناء ملوك التتار الذين هاجموا الشرق الغربى الاسلامى ، و دمروا بغداد كما تعرفون ، و دمروا كل المملكات الاسلامية ، حتى كان الناس يتصورون أن الاسلام يلفظ نفسه الأخير ، وأنه لا مستقبل له فى هذا العالم ، فتوزع هؤلاء المهاجمون فى عدة فروع ، فرع كان يحكم تركستان و إيران ، و كان ولى العهد فى ذلك الزمان الذى كان سيتوج فى عهد قريب ، هو تغلق تيمور ، حكى البروفيسر « آرنلد » فى كتابه : Preaching Of Islam (الدعوة الاسلامية) هذه القصة ، و القصة كما حكتها المصادر الفارسية و التركية تختلف قليلا ، فالذى يحكيه « آرنلد » :

هو أن تغلق تيمور خرج للقنص ، و عند القناصين كما تعرفون توهمات وبالأصح تشاؤمات ، وكان عندهم أنه إذا وقع نظرهم على إيرانى وكانوا يحتقرون الايرانى إلى آخر نقطة إلى آخر المدى ، إذا وقع نظر أحدهم على إيرانى فمعنى ذلك أنه لا يوجد الصيد ، و التشاؤم لا أصل له شرعاً ، و لكن هو أراد شيئاً ، و الله أراد شيئاً آخر ، أراد أن لا يدخل إيرانى و لا يقع نظره على إيرانى ، و الله أراد أن لا يدخل إيرانى فقط ، بل يدخل بنفسه و يدخل ولى العهد فى الاسلام بل يدخل فرع بتمامه فى الاسلام ، و ذلك تقدير العزيز العليم .

فصادف أن الشيخ جمال الدين و كان صاحب قلب حى و صاحب ضمير وشعور ، و صلة بالله قوية و عميقة ، دخل على غفلة منه ، فقبض عليه الشرطى و جره إلى ولى العهد ، فاستشاط غضباً ، و جن جنوناً ، و ما وجد شيئاً يعيره به و يهينه ، إلا أنه كان عنده كلب ، فقال : من منكما أفضل ؟ كلبى ؟ و نسبه إلى نفسه قصداً ، فليس كل كلب ككلب الملوك و الأمراء المدلل ، كلبى أفضل

أم أنت ؟ ، فسكت قليلا ، قال : لماذا لا تجيب ؟ فالذى يحكيه «آرنلد» أنه قال : إذا لم يكرمنا الله بالاسلام فكان ذلك الكلب أفضل ، أما إذا أكرمنا بالاسلام ، فأنا أفضل ، فقال : ما هو الاسلام والايمان ؟ فبدأ يشرح الايمان بمقدار مناسب و جرعة يسيغها الأمير فى ذلك الوقت القصير و الفكر المشغول بالقنص و اللهو وبلباقة لم يطنب ولم يقتصر ، فوقع كلامه فى أعماق قلبه ، وحرك شعوره ، قال : طيب .

و من هنا كان الاسلام قد شق طريقه إلى قلبه ، فقال : يا سيدى إذا سمعت أن تغلق تيمور تم تتويجه ، فلا بد أن تشرفوه بالزيارة ، قال : طيب إن شاء الله تعالى ، و بدأ ينتظر بما كان عنده من حرص على إسلام التتار الفاتحين الغزاة الذين دوخوا العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه حتى كان من الأمثال السائرة — إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق — فكان يعد الأيام عداً ، و لكن الله أراد أن يسوق هذه الكرامة إلى ابنه ، فلما حضرته الوفاة قال : يا ابنى لعل الله قد ادخر هذه الكرامة لك ، فاذا سمعت أن تغلق تيمور قد تم تتويجه ، فلا بد أن تزوره ، فزاره .

أما المصادر التركية و الفارسية فهى تقول : — و أنا راجعتها — أنه لما سأله الملك أيكما أفضل ، كلبى أم أنت ؟ قال : و الله لا أستطيع أن أرد على هذا السؤال الآن ، قال : لماذا ؟ السؤال بسيط ، و الجواب بسيط ، إما أن تقول : كلب ابن الملك أو نفسى ، قال : لا ، هذا يحتاج إلى انتظار ، قال الأمير : أى انتظار ؟ تعرف الكلب ، و تعرف نفسك ، قال : لا ، إذا ختم لى بالحسنى ، و مت على الايمان ، و على كلمة الشهادة ، فأنا أفضل ، و أما إذا لم يختم لى على كلمة الشهادة و الايمان ، فالكلب أفضل ، هذا كلام له سحر و أى سحر ، و الله إن مكتبة كاملة لا تستطيع أن تقابل هذه الكلمة الواحدة ، فان الذى يخرج من القلب يدخل فى القلب ، قال ولى العهد : طيب ، و أذن له بالانصراف ، فذهب ، فلما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال : يا ابنى لعل الله ادخر لك هذه الكرامة ، إذا سمعت أن تغلق تيمور قد تم تتويجه فلا بد أن تزوره ، و تذكره بالقصة .

فلما بلغه نبأ تتويجه ذهب يزوره ، لكنه لم يسمح له بالدخول فى البلاط ، فرمى سجادته بعيداً عن القصر ، و صار يصلى و يؤذن ، و فى غير الصبح ما كان الصوت يصل إلى القصر ، و لكن فى يوم من الأيام طرق أذنه صوت الأذان ، قال : ما هـــذا الصوت العجيب ؟ و فى غير أوانه ، كأن الرجل شبه مجنون ينادى هكذا ، أدعوه لى ، فدعاه ، فقال : من أنت ؟ ماذا تفعل ؟ ماذا تصرخ و تقول ؟ فقـال : يا جلالة الملك ، لعلك تذكر أنك كنت فى قنص و فاجأ دخول شيخ من العلماء اسمه جمال الدين الايرانى ، فتشاءمت بذلك و وجهت إليه سؤالا ، أيكما أفضل ، الكلب أم أنت ؟ فقال : لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال الآن ، قال : فماذا تقول ؟ قال : أنا أشهد بأنه ختم له بالحسنى ، و أنه مات وهو يلفظ بكلمة الاسلام ، وهو « أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله » فأسلم ابن الملك التتارى و دعا رئيس الوزراء ، و قال : أنت و شأنك ، قرر ماذا يكون مصيرك ، أما أنا فقـد اعتنقت الاسلام ، و آمنت بالله و برسوله ، فقـال : و الله يا جلالة الملك ، أنا كنت قد أسلمت قديما ، و لكنى كنت أخفى إسلامى ، فدعا رجال البلاط و قادة العســكرة و رجال الحاشية ، فكلهم أسلموا .

فلا بد أيها السادة ! أن يرافق الدعوة كل ما يجب أن تتصف به الدعوة من قوة إفهام و إقناع ، و دلائل علمية و بلاغة بيانية و شئ من الألم النفسى و شى من الشعور الدافق الذى ملك القلب .

و أختم هذه الكلمة المستعجلة بمـا ذكرته و نوهت به من بعض صفات الداعية و شروط أثر الدعوة و عملها فى القلوب ، و فى المجتمع المعاصر المكون من طبقات مختلفة من البشر و مستويات مختلفة متفاوتة من العقول و الأفهـام و الاتجاهات و الحرف و الصناعات ما قلته فى الحديث عن الامام عبد القادر

(البقية على ص ٨٩)

التوجيه الإسلامي

من معانى القرآن الكريم :

العلقة

بقلم : معالى الدكتور راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف سابقاً لدولة الكويت

٩٥ — قال الله تعالى : « ثم من علقة » .

العلقة طور من أطوار خلق الجنين ، يأتى بعد تكوين النطفة ، عند ما تكبر النطفة فى الغشاء المخاطى المبطن للرحم للفتر المحددة لها و تكون فى حاجة إلى غذاء أكثره لا يتوفر لها و هى على حالتها تلك ، تتجه إلى جدار الرحم و تتعلق به و تتصل بواسطة الأوعية الدموية ، و تأخذ من دم الأم من الغذاء ما تكتفيها و يكفى نموها ، وهذا هو تطور النطفة إلى طورها الجديد وهو العلقة ، و سميت بذلك لتعلقها بجدار الرحم ، و قد وردت فى القرآن كلمة علقة بعدة آيات مسبوقة بكلمة النطفة قبلها .

قال الله تعالى فى سورة المؤمنون : الآية ١٤ « ثم خلقنا النطفة علقة » .

و قال تعالى فى سورة غافر : الآية ٦٧ « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة » .

و قال تعالى فى سورة القيامة : الآية ٣٧ - ٣٨ « ألم يك نطفة من منى يمنى » « ثم كان علقة فخلق فسوى » .

و هى تدل على أن النطفة و هى المنى ، سابق فى الخلق على العلقة ، فلا تكون العلقة علقة إلا بعد مرور أربعين يوماً ، و العلقة هى تلك النطفة المتحدة

من ماء الرجل وماء الأنثى وبعد أن دخلها الدم سميت علقة حمراء بسبب ما فيها من الدم .

٩٦ — و أما ما جاء فى سورة العلق قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق » ، والذى فسر بالدم فى الأزمنة القديمة سواء من المفسرين أو من أصحاب الطب القديم ، فانه تفسير على العموم ليس بالدقة التى توصل إليه العلم الحديث و الاكتشاف فى علم الأجنة ، و إذا أريد به أن الانسان لا يعيش إلا بالدم ، و أن الجنين يتغذى من دم أمه ، و أن الأم لو لا الدم لما عاشت و لما حملت و لا أنجبت ، فقد يكون ذلك مقبولا .

و الله سبحانه فى الآية لم يقل خلق الانسان من علقة ، و لا من العلق ، و إنما قرن معها كلمة نطفة فى أربع آيات مما يدل دلالة واضحة على أن الانسان خلق أولا من النطفة و هى المنى « من ماء مهين » ثم خلق النطفة علقة . و الخلق بعد النطفة ، تطور للجنين يحتاج إلى غذاء ، و غذاء العلقة هو الدم .

إذاً لم يكن بدء خلق الانسان العلقة ، و كلمة « من علق » تدل على أن الانسان خلق من الأمشاج المتعلقة بين عظام الصدر و بين عظام الترائب ، و التنكير يدل على ذلك .

المضغة

٩٧ — قال الله تعالى فى سورة الحج : الآية ٥ « ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبين لكم و نقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى » تكبر العلقة شيئاً فشيئاً ، حتى تصبح كتلة من الأغشية المتصلبة ، تشبه فى الشكل قطعة غشاء ممضوغ ، من أجل ذلك سميت مضغة ، فهى علقة كبرت و تطورت ، و فى هذه الفترة يتكون للجنين أربعة أزواج من الفتحات خلف منطقة الأذن ، و فى

الأسبوع السابع عند ما تتبين الأطراف نجد له ذيلا مكوناً من خمس أو ست فقرات يجاوز طول الساقين (١) .

(كسو العظام باللحم)

٩٨ — قال الله تعالى فى سورة المؤمنون : الآية « فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً .

عند تكون العظام فى الطفل يصير كله أشبه بالسمكة ، فى تلك الفترة التى يتحول فيها من المضغة إلى خلق آخر كما يقول الله سبحانه « ثم أنشاناه خلقاً آخر » يكون له ذيل مكون من خمس أو ست فقرات ، ثم يبدأ هذا الذيل فى القصر و الانكماش شيئاً فشيئاً ، و هو فى هذه المرحلة يكسى باللحم ، أى أنبت الله سبحانه على كل عظم لحماً على القدر الذى يليق به ويناسبه ، ومعنى (وكسونا العظام لحماً) قال ابن كثير : أى جعلنا على ذلك ما يشده و يقويه .

(نفخ الروح)

٩٩ — قال الله تعالى « ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (٢).

فى هذه المرحلة يتشكل نوع كل جنين فى أكمل صورة و فى أحسن تقويم بعد أن يكون جسم الجنين قد اكتسى بالشعر الذى يبدأ فى الزوال قبل الولادة ثم ينمو كل جنين بالصفات و الشكل الذى يتميز به عن المخلوقات الأخرى ، إذاً فبعد مرحلة تكون العظام و العضلات وكسوها باللحم ، ينشئ الخالق سبحانه و تعالى كل جنين خلقاً آخر .

قال المفسرون « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أى ثم نفخنا فيه الروح ، فتحرك

(١) القرآن و اعجازه العلمى محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٠٦ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٤ .

و صار خلقاً آخر ذا سمع و بصر و ادراك و حركة و اضطراب .

قال الله فى سورة السجدة : الآية ٩ « ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلا ما تشكرون » .

(الظلمات الثلاث)

١٠٠— قال الله تعالى فى سورة الزمر : الآية ٦ .

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون » .

قال المفسرون : الظلمات الثلاث التى يمر فيها الانسان و هو فى أطوار خلقه هى ، ظلمة المشيمة ، و هو كيس به ماء يسبح فيه الجنين ، و تتلقى المياه الصدمات الخارجية ، و يحمى الجنين منها ، ويعيش الجنين فى ظلام هذا الكيس الذى لا يخترقه ضوء و لا ماء و لا هواء .

و ظلمة الرحم ، بجداره السميك يحتوى الجنين ، و كيس الماء معاً ، وهذا يسبب للجنين ظلاماً ثانياً .

وظلمة جدار البطن يحتوى أحشاء البطن كلها ، و جدار البطن ظلام ثالث كثيف حول الجنين ، قاله الجمهور ، فما أعظم الخالق المبدع العظيم ، وتعالى الذى أحسن كل شىء صنعاً ، « فأنى تصرفون » أى من أين تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان .

(مدة الحمل)

١٠١— قال الله فى سورة الأحقاف : الآية ١٥ ووصينا الانسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً و وضعته كرهاً و حمله و فصاله ثلاثون شهراً » .

حملته أمه كرهاً أى : قاست فى حال حمله مشقة و تعباً من وحم وغثيان

و ثقل و كرب ، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة « ووضعته كرهاً » أى بمشقة أيضاً من الطلق و شدته « و حمله و فصاله ثلاثون شهراً » مدة الحمل المعتادة تسعة أشهر ، و لكن هناك حالات شاذة للظروف غير عادية تحصل لبعض النساء فيقل حملها للولد عن تسعة أشهر ، و بعضها تطول مدة حملها للولد عن تسعة أشهر إلى ما بعد ذلك .

و لما كان الأمر متعلقاً بالأنساب و خوف اختلاطها فقد وضع الفقهاء ضوابط لذلك استنبطوها من القرآن الكريم ، فأقل مدة الحمل هى ستة أشهر استنبطوها من قوله تعالى « و حمله و فصاله ثلاثون شهراً » مع قوله فى سورة لقمان « وفصاله فى عامين » وقوله تعالى فى سورة البقرة : الآية ٢٣٣ « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .

فاذا كان فطامه فى عامين أربعة و عشرين شهراً ، و كان حمله و فصاله ثلاثين شهراً كما فى الأحقاف ، فيكون أقل مدة الحمل ستة أشهر ، فلو ولد مولود لأقل من ذلك لا يعترف به و لا يلحق نسبه بأبيه ، لو أن امرأة تزوجت و حملت لمدة أقل من تاريخ العقد ، ثم وضعت لا يلحق الولد بالزوج ، ويكون الزواج باطلا لأنه وقع فى العدة فتكون المرأة فى هذه الحالة قد تزوجت و هى حامل ، أما أكثر مدة الحمل فحددها العلماء بسنة .

(حال الانسان بعد الولادة)

١٠٢— قال الله سبحانه فى سورة الروم : الآية ٥٤ .

« الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً و شيبة » .

ينبه الله تعالى فى هذه الآية على تنقل الانسان فى أطوار الخلق حالا بعد

حال فأصله من تراب ثم من نطفة - ماء مهين - ثم من علقة ثم من مضغة ثم يصير عظاماً ثم تكسى العظام لحماً ، و ينفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى — لأن أمه حملته وهنا على وهن — ثم يشب قليلا حتى يكون صغيراً ، ثم حدثاً ، ثم شاباً ، وهو القوة بعد الضعف ، وفيها الرجولة و كمال العقل ، قال الله تعالى فى سورة الأحقاف : الآية ١٥ « حتى إذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على و على والدى و أن أعمل صالحاً ترضاه » .

بعد الأربعين يشرع الانسان فى النقص فيكتهل أى يصير كهلا ، وهو يأتى بعد القوة ، و هى ما بين الأربعين إلى الستين ، « و شيبة » أى ثم يشيخ بعد الستين إلى الثمانين ثم يهرم بعد ذلك وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة و البطش ، و تشيب اللمعة و تتغير الصفات الظاهرة و الباطنة ، و لهذا قال سبحانه « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً » (١) .

تلك مراحل لا بد من مرورها على الانسان و يستحيل عليه أن يولد قوياً ، كما يستحيل أن يكون فى دور الشيخوخة قوياً ، بل لا بد فيها من ضعف و شيبة .

١٠٣— و انظر إلى أساس الاستدلال ، وهو أن تلك الأدوار و الأحوال التى فى الانسان و غيرها من آيات الله ليست طبيعية ، و إنما مردها إلى مشيئة الله و قدرته ، حيث قال فى بقية الآية « يخلق ما يشاء و هو العليم القدير » .

أفبعد هذا يجادل الانسان فى خلق نفسه ، و الله سبحانه يقول « لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢) .

(١) سورة الحج : الآية ٥ . (٢) سورة غافر : الآية ٥٧ .

المد و الجزر فى تاريخ الاسلام

(الحلقة الاخيرة)

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

ما جرى للمسلمين حين نسوا دينهم :

هذا و لما طال على المسلمين الأمد ، و قست قلوبهم ، و نسوا و تناسوا ما لأجله بعثهم الله على كثرة من الناس ، وتوافر من أمم الأرض ، و هو قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » (١) .

و نسوا ما لأجله خرجوا من جزيرتهم ، يخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وصاروا يحكمون الناس حكم الناس على الناس ، و صاروا يعيشون حياة لاهية حرة ، حياة من لا يعرف نبياً و لا يؤمن برسالة و وحى ، و لا يرجو حساباً ، و لا يخشى معاداً ، و أشبهوا الأمم الجاهلية التى خرجوا يقاتلونها بالأمس ، عادوا فقلدوها فى مدنيتها و اجتماعها ، و سياستها و أخلاقها ، و مناهج حياتها ، و فى كثير مما مقتها الله لأجله و خذلها .

وأصبحوا لا هم لهم ولا شغل ، إلا الأكل والشرب والتناسل ، وأصبحوا كرعايا الناس ليس لهم فرقان و لا نور يمشون به بين الناس ، و أشبهت ملوكهم و أمراؤهم جبابرتها و فراعنتها ، و أغنياؤهم مترفيها و أكابر مجرميها ، و كاد يسبق فجارهم فجارها ، تحاسد و بغضاء ، و منافسة فى السلطان ، و تكالب على حطام الدنيا ، و إخلاد إلى الترف و النعيم ، و إعراض عن الآخرة ، و سفك للدماء ، وهتك للأعراض ، و هضم للحقوق و غدر بالعهود والذمم ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

و تعد على حدود الله و إعانة للظالم ، و جنف (١) فى الحكومات و المظالم ، و تبذير لأموال الله ، وعموم الفواحش و المنكرات ، و ابتداع للجرائم ، وإبداع فى الخيانة ، مما يحتاج بسطه إلى مجلدات ، فهانوا إذاً على الله مع أسمائهم الاسلامية ، ورغم وجود الصالحين فيهم ، وظهور بعض الشعائر الدينية ، والواجبات الشرعية فى بلادهم ، و هانوا على الناس رغم مملكتهم الواسعة و جيوشهم الكثيفة ، و خزائنهم العامرة ، و رغم تقدمهم فى الحضارة و مظاهرها الكثيرة ، فقل إكرام الناس لهم و هيبتهم إياهم ، و تجاسروا عليهم .

قال « رتبيل » ملك رخج و سجستان ، لرسل يزيد بن عبد الملك و قد جاؤوا إليه يطالبونه بالخراج : « ما فعل قوم كانوا يأتوننا : خماص البطون ، سود الوجوه من الصلاة ، نعالهم خوص ؟ » ، قالوا : انقرضوا ، قال : « أولئك أوفى منكم عهداً و أشد بأساً ، و إن كنتم أحسن منهم وجوهاً ، ثم لم يعط أحداً من عمال بنى أمية ، و لا عمال أبى مسلم على سجستان من تلك الاتاوة شيئاً (٢) .

فاذا كان هذا فى القرن الثانى فما ظنك بقرون بعده ؟ ! حتى إذا بلغ السيل الزبى ، و تضاعف كل ما ذكرنا ، و أفسد المسلمون فى الأرض بعد إصلاحها ، بعث الله عليهم عباداً له أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، سلط عليهم المغول والتتار - أشقى الأمم وأخملها و أجهلها وأوحشها - فوضعوا فيهم السيف ، و أجروا من دمائهم سيولا و أنهاراً ، وأقاموا من رؤوسهم صروحاً و تلالا ، و فعلوا بهم الأفاعيل ، و أحلوهم الخوف ، فتمكن من قلوبهم الوهن و الجبن ، حتى أصبحوا لا يصدقون بهزيمة التتر ، قال ابن الأثير : سمع عن بعض أكابرهم أنه قال : « من حدثك أن التتر انهزموا فلا تصدقه » قال : و وقع رعبهم فى

(١) الجنف : الميل .

(٢) فتوح البلدان ص ٤٠١ طبع بريل .

قلوب الناس، حتى كان أحدهم إذا لقى جماعة ليقتلهم واحداً واحداً ، وهم دهشون و دخلت امرأة من التتر داراً و قتلت جماعة من أهلها ، و هم يظنونها رجلا ، ودخل واحد منهم دربا فيه مأة رجل ، فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ، و لم يمد أحد يده إليه بسوء ، و وضعت الذلة على الناس ، فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا و لا كثيراً ، نعوذ بالله من الخذلان ، و حكى أن أحدهم أخذ رجلا و لم يجد ما يقتله به فقال له : ضع رأسك على هذا الحجر و لا تبرح ! فوضع رأسه ، وبقى إلى أن أتى التترى بسيف وقتله ، قال ابن الأثير : و أمثال ذلك كثيرة .

و إليك ما قال ابن الأثير قبل أن يسرد وقائع هذه النازلة :

« لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ، استعظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى، و ياليتنى مت قبل هذا و كنت نسياً منسياً . . . هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى، التى عقمت الأيام و الليالى عن مثلها ، عمت الخلائق و خصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن أهل العالم منذ خلق الله تعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها و لا ما يدانيها . . . و لعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم و تفنى الدنيا الخ . . . » .

و لكن مثل هذه الحادثة لم تستطع أن تنبه المسلمين ، و لم يفيقوا من سكرتهم ، ولم يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم ، وحق عليهم قول ربهم : « لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون (١) » و قوله : « فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، و لكن قست قلوبهم ، و زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٢) »

(١) سورة الحجر : الآية ٧٢ . (٢) سورة الأنعام : الآية ٤٣ .

و قوله : « و لقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم و ما يتضرعون (١) » و ما زالوا متمكين فيما هم فيه من غفلة و لهو و ظلم ، حتى يقول ابن الأثير : « فالله تعالى ينصر الاسلام و المسلمين نصراً من عنده ، فما ترى فى ملوك الاسلام من له رغبة فى الجهاد و لا فى نصرة الدين ، بل كل منهم مقبل على لهوه و لعبه ، وظلم رعيته ، وهذا أخوف عندى من العدو ، و قال الله تعالى : « و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (٢) » .

و مما يجب أن يلاحظ القارئ و يعتبر به المعتبر ، أن المسلمين فى هذه الظلماء التى غشيتهم ، و الفتنة التى عمتهم ، كلما أفاقوا من سكرتهم ، و أصلحوا شأنهم ، و أزاحوا العلل ، و صمدوا فى وجه العدو ، و استنزلوا النصر ، هزموا التتر الذين لم يكونوا يعرفون الهزيمة ، و لا يصدق الناس بانهزامهم ، فقد هزمهم جلال الدين خوارزم شاه ثلاث مرات ، و هزمهم الظاهر بيبرس غير ما مرة ، و هزمهم الملك الناصر صاحب مصر بمرج الصفر ، و قال السيوطى عن وقعة عين جالوت : « فهزم التتار شر هزيمة ، و انتصر المسلمون ، ولله الحمد ، و قتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يخطفونهم وينهبونهم (٣) » .

حال المسلمين فى القرون الأخيرة :

لم يزدد المسلمون إلا ضعفاً ، ولم تزدد أخلاقهم على مر الأيام إلا انحطاطاً و تدهوراً ، و لا أحوالهم و شئونهم إلا فساداً ، حتى أصبحوا فى فجر القرن الرابع عشر الهجرى أمة جوفاء ، لا روح فيها ولا دم ، و صاروا كصرح عظيم من خشب منخور قائم لا يزال يؤوى الناس و يهول من بعيد ، أو كدوحة قد تأكلت جذورها ، و نخر جذعها العظيم و لم تقلع بعد ، و أصبحت بلادهم

(١) سورة المؤمنون : الآية ٧٦ . (٢) سورة الأنفال : الآية ٢٥ .
(٣) تاريخ الخلفاء .

مالا سائباً لا مانع له ، و أصبحت دولهم فريسة لكل مفترس ، و طعمة لكل آكل ، و حق قول النبى ﷺ :

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، و لكنكم غثاء كغثاء السيل ، و لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، و ليقذفن فى قلوبهم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله و ما الوهن ؟ قال : حب الدنيا و كراهية الموت (١) » .

و استمر المسلمون بهذا الحال و زيادة ، حتى أغار عليهم فى القرن الثامن عشر المسيحى الأمم الأوربية ، النصرانية الجاهلية ، المتحضرة الوحشية ، الكاسية العارية (٢) فسلموها مفاتيح ملكهم ، و اعتزلوا فى مصلحتها عن قيادة العالم .

وقد بلغ المسلمون من الانحطاط الخلقى ، منزلة أن وجد فيهم أفراد خانوا أمتهم ، وشروا (٣) بلادهم بثمن بخس دراهم معدودة ، وتطوعوا فى جنود العدو يفتحون بلادهم للأجنبى على حسابهم .

ولكن هذا الهجوم الغربى كان أشد تأثيراً ، و أعمق أثراً ، و أبعد مدى ، من الهجوم الشرقى - المغولى والتترى - فكاد يخمد كل جمرة فى قلوبهم ، لم تخمدها العواصف طيلة هذه القرون ، وبقيت كامنة فى الرماد تخبو مرة وتلتهب أخرى .

ابتلاء المسلمين بالشك و الذل النفسى :

فتش عقلاؤهم (٤) عن منابع القوة الكامنة فى نفوس المسلمين و قلوبهم ، فوجدوا أن أكبر منبع للقوة و الحياة هو « الايمان » و شهدوا ما فعل الايمان

(١) رواه أبو داود عن ثوبان رضى الله عنه .
(٢) المطلع على تاريخ هذه الأمم و طبيعتها يصدق هذه الصفات المتناقضة .
(٣) شروا : باعوا .
(٤) أى عقلاء الأعداء .

قديماً ، و ما أظهر من معجزات و خوارق و ما هو خليق بأن يفعل ، فعادوه و سلطوا على المسلمين عدوين هما أفتك بهم و أضر لهم من المغول و التتار ، و من الوباء الفاتك : الأول هو الشك و ضعف اليقين الذى لا شىء أدعى للضعف و الجبن منه ، و الثانى ما نعبر عنه بالذل النفسى (١) و هو أن صار المسلمون يشعرون بالذلة والهوان فى داخل أنفسهم ، وفى أعماق قلوبهم ، ويزدرون بكل ما يتصل بهم من دين و تهذيب و أخلاق ، و يستحيون من أنفسهم ، و يؤمنون بفضل الأوربيين فى كل شىء ، و يعتقدون فيهم كل خير ، و لا يكادون يعترفون بنقص و عيب فى ناحية من نواحى الحياة ، و لا يصدقون بانهزامهم وفشلهم فى ساعة من ساعات الدهر ، وإذا تمكن هذا الذل من نفوس أمة ، فقد ماتت و إن كنت تراها تغدو و تروح ، و تأكل و تعيش .

ابتلاء المسلمين بعبادة المادة و حب الدنيا :

و ابتلى المسلمون فى هذه المرة بتأثير الحضارة الغربية ، و الفلسفة الغربية ، بعبادة المادة و حب الدنيا ، و الجرى وراء النفع العاجل ، و تقديم المصالح الشخصية والمنافع المادية على المبادىء والأخلاق ، شأن الأمم الأوربية الجاهلية ، فكانت هذه الأخلاق وهذه النفسية والتربية مانعاً من الجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، و من تحمل المشاق ، و تجرع المرائر ، و مكابد الأهوال ، و الخسائر فى سبيل المبدأ الصحيح ، و العقيدة السامية .

أسوأ جيل عرفه تاريخ الاسلام :

كان نتيجة هذا كله أن ظهر جيل فى المسلمين : متنور الذهن ، ولكن مظلم الروح ، أجوف القلب ، ضعيف اليقين ، قليل الدين ، قليل الصبر و الجلد ، ضعيف الارادة والخلق ، يبيع دينه بدنياه ، وآجله بعاجله ، و يبيع أمته وبلاده بمنافعه الشخصية ، و بجاه و عزة وهمية ، ضعيف الثقة بنفسه و أمته ، عظيم

(١) و هو ما اعتاد الكتاب العصريون بتسميته « بمركب النقص » .

الاتكال ، كثير الاستناد إلى غيره : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم (١) » .

هؤلاءهم الذين نشروا فى المسلمين الجبن و الوهن ، و صرفوا المسلمين عن الاتكال على الله ، ثم الاعتماد على أنفسهم إلى الاعتماد على غيرهم و التكفف لديهم و الالتجاء فى مواقع الخطر إليهم ، و أطفأوا فى قلوبهم شعلة الجهاد فى سبيل الله ، والحمية الدين ، وأبدلوها بالوطنية العليلة ، و القومية الناعسة ، وأبدلوا جنونها الذى بعث الحكمة من مرقدها ، وأطلق العقل من إساره ، و الذى تمكن مما لم يتمكن منه العقل و العلم فى آلاف من السنين ، أبدلوا هذا « الجنون » الحكيم بعقل ناقص عليل ، لا يعرف إلا الموانع و العراقيل .

و قد ظهر هذا التحول العظيم فى العقيدة والنفسية ، و الافلاس فى الروح والايمان ، فى شر مظاهره فى حرب فلسطين، فكان فضيحة للعالم العربى فى القرن الرابع عشر الهجرى ، كما كان انكسار المسلمين وفشلهم الذريع أمام الزحف التتارى فضيحة للعالم الاسلامى فى القرن الثامن ، فقد اجتمعت سبع دول عربية لتحارب الصهيونية و تدافع عن وطن عربى إسلامى مقدس ، عن القبلة الأولى ، و عن المسجد الثالث الذى تشد إليه الرحال ، و عن جزيرة العرب و الأقطار العربية التى أصبحت مهددة بالخطر الصهيونى، فكانت حرب فلسطين دفاعاً عن حياة وشرف و عن دين وعقيدة ، و كان العالم العربى بأسره إزاء دويلة صغيرة لم تستقر بعد ، و اتجهت الأنظار إلى مسرح فلسطين ، وانتظر الناس معركة مثل معركة اليرموك، أو وقعة مثل وقعة حطين ، و لماذا لا ينتظرونها و الأمة هى الأمة ، و العقيدة هى العقيدة ، مع زيادة فائقة فى العدد و العدد ، فلماذا لا ينتصر العرب و هم عالم ؟ و لماذا لا يقضون على عدوهم و هو حفنة من المشردين ؟ ! .

(١) سورة المنافقون : الآية ٤ .

و لكنهم نسوا ما فعلت الأيام و ما فعلت التربية ، و ما فعلت الدول و الزعامة السياسية ، و ما فعلت المادية بالأمة العربية فى هذا العصر ، لقد تقدم العرب إلى معركة اليرموك حقاً ، و لكن بغير الايمان الذى تقدم به أسلافهم إلى هذه المعركة فى العصر الأول .

لقد تقدموا إلى وقعة كانت وقعة حاسمة كحطين - لو ظفر العرب - ولكنهم تقدموا بغير الروح التى تقدم بها صلاح الدين و جنده المؤمن المجاهد ، تقدموا بقلوب خاوية تكره الموت و تحب الحياة ، و أهواء مشتتة ، و كلمة متفرقة ، يريدون أن يربحوا النصر و لا يخسروا شيئاً ، و أن يحافظوا على شرفهم و لا يخاطروا بشىء ، كل يعتقد أن غيره هو المسؤول عن الحرب ، و عن الغلبة و الهزيمة ، ثم هم يقاتلون و حبلهم فى يد غيرهم ، إذا أرخى قليلا تقدموا ، وإذا جره تأخروا ، و إذا قال : حاربوا حاربوا ، و إذا قيل اصطلحوا اصطلحوا ، و ما هكذا يكتسب الظفر و يقهر العدو .

أوردها سعد ، و سعد مشتمل
ما هكذا يا سعد تورد الابل

وبقى العالم متطلعاً إلى ما قرأه فى تاريخ الجهاد الاسلامى من روائع الايمان، و خوارق الشجاعة والصبر ، و الاستهانة بالحياة ، والبسالة والبطولة ، والاستقبال للموت ، و التمنى للشهادة ، و حسن النظام ، و روح الاطاعة و الايثار ، فلم ير من ذلك شيئاً ، إلا لمعات و إشراقات للايمان كانت تظهر من بعض المتطوعين فى حرب فلسطين ، و الاخوان المجاهدين ، تجندوا و تطوعوا للحرب بدافع الايمان ، والدفاع عن الاسلام ، و حملتهم الحمية الدينية على المغامرة ، و دفعتهم إلى ميدان الحرب ، فشرفوا الدين و أرعبوا القلوب ، و أعادوا التاريخ القديم و برهنوا على أن الايمان لا يزال المنبع الفياض للقوة و النظام ، و أن عنده من القوة و النفوذ ، و التنظيم و روح المقاومة و الجهاد ، ما ليس عند الدول الكبيرة المنظمة .

الرابطة الاسلامية هى أعظم الوسائل التى تربط بين المسلمين

بقلم : سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد (الرياض)

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و أصحابه و من اهتدى بهداه أما بعد : فان الاخوة الدينية بين الشعوب الاسلامية هى أقوى الوشائج و الروابط التى تشد الأمة و تؤلف بينها لتكون قوية متماسكة فى وجوه أعدائها المتربصين بها من الكفار و المنافقين، و هذه النعمة — نعمة التآلف بين قلوب المسلمين — هى التى امتن الله بها على نبيه ﷺ فى قوله سبحانه « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » و امتن بها على المسلمين جميعاً رجالا و نساءاً فى قوله عز و جل « و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » وفى قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم و اتقوا الله لعلكم ترحمون » و فى قول النبى ﷺ « لا تحاسدوا و لا تناجشوا و لا تباغضوا و لا تدابروا و لا يبع بعضكم على بيع بعض و كونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يحقره و لا يكذبه ولا يخذله، التقوى ها هنا — وأشار إلى صدره ثلاث مرات — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله وعرضه » رواه الامام مسلم فى صحيحه ، والآيات و الأحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

و هذه النعمة العظيمة قد ضاق بها أعداء الاسلام و عملوا جاهدين لتفكيك أواصر الأمة وزرع أسباب الفرقة و التنازع بينهم، لتذهب ريح الأمة و قوتها و ليسهل إذلالها و قهرها و السيطرة عليها ، و كما يقولون : « فرق تسد » .

ومن أقوى وسائل الأعداء فى هذا : وسائل الاعلام المقروءة و المسموعة و المرئية و ما تبثه من الأخبار الكاذبة والمحرفة التى تزرع الشر و الفتن وأسباب الكراهية و الحقد و الفرقة بين المسلمين .

و من أهم الواجبات على المسلمين جميعاً و لا سيما العلماء و رجال الاعلام المنصفون ، التصدى لهذه الحملات الحاقدة التى تستغل الأحداث لاثارة الشكوك و إزالة الثقة بين المسلمين أفراداً و جماعات حكاماً و محكومين .

ومما يلاحظ فى هذا العام بشكل خاص أن كثيراً من وكالات الأنباء العالمية التى تخدم مخططات أعداء الاسلام و تخضع لمراكز التوجيه النصرانى و الماسونى تخطط بأسلوب ماكر لاثارة العالم كله ضدما يسمونه « الأصوليين » وهم يقصدون بذلك الذم و القدح فى المسلمين المتمسكين بالاسلام على أصوله الصحيحة الذين يرفضون مسايرة الأهواء و التقارب بين الثقافات و الأديان الباطلة .

و قد وقع بعض الاعلاميين المسلمين فى مصيدة الأعداء و أخذوا ينقلون تلك الأخبار المعادية للاسلام و أصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها أوغرض فى نفوس بعضهم، فكانوا بفعلهم هذا أعواناً للأعداء على الاسلام والمسلمين بدلا من قيامهم بواجب التصدى لأعداء الاسلام و إبطال كيدهم ببيان أهمية الرابطة الدينية و الاخوة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية ، وأن الأخطاء الفردية التى لا يسلم منها أحد لا ينبغى أن تكون مبرراً للتشنيع على الاسلام و المسلمين و التفريق بينهم .

ولهذا رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة نصيحة للمسلمين جميعاً من الاعلاميين و غيرهم فى الدول الاسلامية وغيرها ، و تحذيراً للجميع من مكائد الأعداء من الكافرين و المنافقين و السائرين على نهجهم ، و أن يصونوا الاعلام الاسلامى المقروء و المسموع و المرئى من أن يكون وسيلة للتشكيك فى الاسلام و الدعاة إليه ، أو أن يستخدم للتفريق بين علماء الأمة و شعوبها و الناصحين لها و غرس أسباب الشحناء والتباغض بين حكامها ومحكوميها و علمائها و عامتها ، و أن يبذلوا كل ما يستطيعون فى التقريب بين المسلمين وجمع كلمتهم ودعوتهم حكاماً ومحكومين ، للتمسك بدينهم و الاستقامة عليه وتحكيم شريعة الله فى عباده و التواصى بذلك و التعاون عليه بالأساليب الحسنة و النصيحة الخالصة و العمل الصالح الدائب والسيرة الحميدة عملا بقول الله عز وجل : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم و العدوان و اتقوا الله إن الله شديد العقاب » و قوله سبحانه : « و العصر ، إن الانسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر » وقول النبى ﷺ « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم » رواه مسلم فى صحيحه .

و لما روى جرير بن عبد الله البجلى - رضى الله عنه - قال : « بايعت النبى - ﷺ - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » متفق على صحته .

كما أوصى العلماء وجميع الدعاة وأنصار الحق أن يتجنبوا المسيرات والمظاهرات التى تضر الدعوة و لا تنفعها ، و تسبب الفرقة بين المسلمين و الفتنة بين الحكام و المحكومين ، وإنما الواجب سلوك السبيل الموصلة إلى الحق و استعمال الوسائل التى تنفع و لا تضر و تجمع و لا تفرق و تنشر الدعوة بين المسلمين و تبين

لهم ما يجب عليهم بالكتابات و الأشرطة المفيدة و المحاضرات النافعة و خطب الجمع الهادفة التى توضح الحق و تدعو إليه و تبين الباطل و تحذر منه ، مع الزيارات المفيدة للحكام و المسئولين و المناصحة كتابة أو مشافهة بالرفق و الحكمة و الأسلوب الحسن ، عملا بقول الله عز و جل فى وصف نبيه محمد — ﷺ : « فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » الآية : و قوله عز و جل لموسى و هارون — عليهما الصلاة و السلام — لما أرسلهما إلى فرعون : « فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى » و قول النبى - ﷺ - « بشروا ولا تنفروا ويسروا و لا تعسروا و تطاوعوا ولا تختلفوا » و قوله ﷺ : « إن الرفق لا يكون بشئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه » و قوله ﷺ : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » وكل هذه الأحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، و فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه » و الأحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

و الله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً و يجمع كلمتهم على الحق ، وأن يصلح قادتهم و ولاة أمرهم و يوفقهم لتحكيم شريعته و الرضا بها و إيثارها على ما سواها ، و أن ينصر بهم دينه و يعلى بهم كلمته و أن يعينهم على كل ما فيه صلاح أمور دينهم و دنياهم ، و على كل ما فيه سعادتهم وسعادة شعوبهم و نجاتهم فى الدنيا و الآخرة ، و أن يوفق علماء المسلمين و دعاة الاسلام لأداء ما يجب عليهم على الوجه الذى يرضيه و أن يبارك فى جهودهم وينصر بهم الحق و يعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولى ذلك و القادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد و آله و صحبه أجمعين .

« الدعوة بين النصيحة و التعبير »

بقلم : د . محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض

شعرة دقيقة ، و ميزان مرهف ، يتحكم فى الانسان ، و يوجه أعماله ، إما إلى الحسن و جودة العطاء ، ثم جزيل الأجر عند الله ، و إما بالرداءة و سوء النتيجة ، و العاقبة الأخروية الخاسرة ، تلك الشعرة الدقيقة التى لا ترى بالعين المجردة ، و هذا الميزان المرهف الذى لا يحس بواحدة من الحواس الخمس المعروفة فى الانسان هى : حسن النية : و الصدق مع الله فى العمل ، مما يدفع إلى طلب التقرب إليه بالعمل المراد . . أو بعكس ذلك .

فالنية الصادقة هى المحور التى تدور عليه الأعمال الصالحة ، وهى نقطة الارتكاز فيها ، كما جاء فى الحديث المتفق على صحته الذى رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ فى قوله الكريم : « إنما الأعمال بالنيات ، و إنما لكل امرىء مانوى » الحديث .

و الداعى إلى الله بنيته الصادقة ، و بحسن مقصده ، و سلامة طويته يتلمس المداخل إلى القلوب بالدعوة المؤثرة ، و يسلك فى سبيلها الطرق التى ترتفع به إلى السمو الخلقى ، و الارتقاء الوجدانى و نسيان الذات ، ليكون متأثراً فى نفسه ، برقة القلب ، و القدوة فى العمل ، و مؤثراً فى العمل ، و مؤثراً فى غيره بالنفاذ إلى النفوس ، و طرح ما ينفعها بأسلوب شيق ، كما يعرض التاجر بضاعته بمرغبات تجعلها مقبولة و مرغوبة عند الناس .

وما ذلك إلا أن الدعوة إلى الله ، هى رسالة الأنبياء ، و مهمة المرسلين ،

و مسلك العلماء العاملين ، لأنها السبيل المعين فى توضيح ما يجب على الانسان أن يعمله ، و الطريق المحذر مما يباعد عن دين الله و رضاه سبحانه .

فالدعوة خير ما يتحلى به المرء من صفات قولية أو يزاوله من أعمال فعلية ، ألم يقل جل وعلا فى محكم التنزيل : « و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إننى من المسلمين » [٣٣ فصلت] .

و لما كان الدين النصيحة ، فان من يمتطى صهوة الدعوة يجب أن يكون مدركاً لمهمتها الحقيقية ، ليحرص على تخول الناس بنصيحته ، بحسب ما تدركه عقولهم ، و يتلاءم مع قدراتهم الاستيعابية ، و على أن يأخذ فى الحسبان ما يتفق مع أحاسيسهم الوجدانية ، و متطلبات العصر الذى يعيشون فيه ، و البيئة التى تكتنفهم ، و قد كان رسول الله ﷺ يتخول أصحابه بالنصيحة ، و يمدهم منها بمقدار ما يعطى الطبيب مريضه من الدواء ، ذلك أن للدواء مقادير تتلاءم مع قدرات الجسم ، و تتناسب مع كافة الأنسجة ، و حاجة الخلايا فى النمو ، وما تحدثه التفاعلات الكيماوية فى كيان الجسم البشرى من تأثيرات .

و المسترشد بالهدى التشريعى من كتاب الله سبحانه ، و سنة رسول الله ﷺ ، يلمس أن للدعوة صفات و أعمالا يجب أن يتحلى بها الداعى لينعكس أثرها على عمله ، و نتائجها على الدعوة . . و من ذلك . . .

— الحكمة و حسن التجاوب مع النفوس المدعوة ، كما هو التوجيه الكريم من الله جل وعلا ، لنبيه ﷺ « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن » [النحل ١٢٥] .

— الليونة فى القول و التماس مداخل النفس ، كما وجه الله نبيه موسى ، وأخاه هارون عليهما السلام عندما أرسلهما جل وعلا إلى فرعون فقال سبحانه : « إذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى » [طه الآيتان ٤٣—٤٤] .

— عدم الغلظة فى القول أو القسوة فى الكلام، ذلك أن لكل فعل رد فعل، و الشدة و العنف تورثان المبادلة بالمثل انتقاماً للنفس، وحمية للنزعات الخاصة، كما قيل فى النظريات العلمية: بأن الضغط يورث الانفجار و الله جل و علا يهذب طباع نبيه الكريم فى صفات يجب أن يستفيد منها الداعى إلى الله، ليتحلى بها فى كل زمان و مكان، حتى يكون لعمله جهود مثمرة، و آثار ظاهرة، فيقول جل و علا: ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» [آل عمران ١٥٩].

— أن يكون الداعى إلى الله: عالماً حليماً بصيراً، مبتعداً عن تلمس عيوب المدعو، أو إيراد ما يثير حفيظته، أو يحرك غيرته مما يلتمسه خصوم الدعوة مطعناً، كما أخبر الله عن أهل الكتاب، و الطريقة المثلى التى يجب أن تسلك فى دعوتهم لدين الاسلام فى مثل هذا، القول التوجيهى الرفيع فى أسلوبه، المتميز فى منهجه، فيقول سبحانه: «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله، فيسبوا الله عدواً بغير علم» [الأنعام ٨].

— عدم ذكر الانسان بما يكره، لأن هذا محرم، إذا كان المقصود منه مجرد الذم و الاعابة و التنقيص من المدعو، أما إن كان المقصود مصلحة للمسلمين خاصة أو عامة، فهذا يدخل فى الأمر المندوب إليه، لاتقاء شره أو للتشهير به.. و رسول الله ﷺ قد نهى عن الغيبة و النميمة، وهى ذكر الانسان أخاه بما يكره، ولما سئل ﷺ، عما إذا كان فى المرء ما قيل عنه، فقال الهادى البشير ﷺ: إن كان فيه ما قلته فقد اغتبته، و إن لم يكن فيه فقد بهته».

— و الدعوة إلى الحق، هى التى يكون ممتهنها متواضعا، فيحمله ورعه و علمه، وحبه الخير للناس على حسن مخاطبة الآخرين، و الاهتمام بمصالحهم، وهو إن حاورهم فى أمر لا يتعصب لرأيه، ولا ينتصر لنفسه، فقد روى عن

الامام الشافعى رحمه الله أنه قال: ما ناظرنى أحد فباليت، أظهرت الحجة على لسانه أو على لسانى، حيث كان رحمه الله يبلغ فى هذا المعنى، و يوصى تلاميذه باتباع الحق، و قبول السنة، و يقول هو و سائر الأئمة رحمهم الله: إذا ظهر فى قولى ما يخالف السنة، فاضربوا بقولى عرض الحائط حينئذ.

— و الداعى إلى الله الناصح فى عمله، هو من يحرص على وحدة الصف، و السمع و الطاعة لمن ولاه الله أمور المسلمين، لأن يد الله على الجماعة، كما يتلمس مداخل الدعوة التى تؤثر فى القلوب، وتوجهها إلى الخير، ذلك أن الناصح المخلص هو من يعطى الخير من نفسه، و يبذل الجهد من وقته و طاقته، سواء كان المنصوح عالماً، أو إنساناً عادياً، أو زميلا فى العمل، أو فرداً من أبناء الأسرة، حيث تتجه إليه القلوب، و ترنو إليه الأفئدة، فيعامل بالاكرام على عمله، و يحظى بالاحترام و التقدير على اهتمامه و حرصه، و يدخل فى هذا المسلك، الردود التى تحصل بين العلماء، التى يراد من ورائها الوصول إلى الحقيقة.

— و من يسلك مثل هذا المبدأ الأساسى الذى يحث عليه الاسلام، فى النصيحة، فانه لا شك سيدعى له بالأجر، و يحمد على عمله و منهجه فى النصح، كما هو واقع الحال بين كثير من علماء الاسلام فى عصوره المختلفة، حيث لم يرو عنهم تشنجات و عصبيات مثلما يلمس فى عصرنا الحاضر، و حتى لا يكون الداعية مهتماً بنفسه، ناسياً المكانة العظيمة لمن عرف فلزم، فان عليه أن يدرك ما تعينه المبادىء الأساسية للدعوة، حيث روى عن الامام مالك رحمه الله قوله: مامنا إلا راد و مردود عليه.. فلا يتعصب لرأى، ولا يغضب إذا انتقد.

— أما من عرف عنه بأنه يريد برده على الآخرين التنقيص و الذم للمردود عليه، و إظهار عيوبه حتى يصغر فى عيون الناس، فان هذا منهج قبيح يحول

النصيحة إلى فضيحة ، و النصح إلى تعيير ، وهو منهج بعيد عن سبيل النصيحة التى أخبر عنها ﷺ بأنها من الدين ، و صاحب هذا العمل يستحق المقابلة بالانكار والاستهجان ، ليرتدع هو ، ومن يشاكله فى هذا المنحى المعوج ، لأن مثل هذا العمل من الرذائل الممقوتة التى تورث أعمالا مشينة ، و تقود إلى صفات رذيلة ، تكبر فى المجتمع فتفسد الجهلة الذين يتأسون بأهل العلم السالكين لهذا الطريق ، وتحط من مكانة حملة العلم لينطبق فيهم قول الشاعر :

و لو أن أهل العلم صانوه صانهم و لو عظموه فى النفوس لعظما

و قد نهى الله جل و علا عن الظن السوء ، و المكر السيئ ، و للظن السيئ أمارات و علامات ، مثل كثرة البغى و العدوان وقلة الورع ، و إطلاق اللسان ، و كثرة الغيبة و البهتان ، و الحسد للناس على ما آتاهم الله من فضله ، و الامتنان على الناس و شدة الحرص على المزاحمة على الرئاسة قبل الأوان ، و حب البروز ، و انتقاص الآخرين .

و هذه العلامات يجب أن يتنبه لها من يريد الاتصاف بالدعوة إلى الله ، و أن يحاسب نفسه فى خلوتها على كل واحدة قد تميل نفسه إليها ، ليعرف كيف يتعامل معها وفق ما تدعو إليه شريعة الاسلام ، فان للمجتمع عيوناً فاحصة ، وللناس فراسات متعددة ، قال حكيم لابنيه كيف تنظران إلى الناس ؟ فقال أحدهما : احتقرهم و لا أهتم بهم و أراهم كالذر ، فقال : هم يرونك كذلك ، وقال الآخر : احترمهم و أهابهم فأجلهم ، فقال له أبوه : هم يرونك كذلك .

فمن آنس من نفسه ركوناً إلى هذه الصفات أو بعضها ، فان منزلته فى الدعوة هابطة لأنها خصال يمقتها الدين ، و تتباين مع منهج الاسلام فى انتهاج الدعوة ، و من هنا فان أهل الايمان و العلم لا يرضون بها ، و ما ذلك إلا أن كل

خصلة من هذه الخصال تعتبر رذيلة من الرذائل ، جاءت أدلة التشريع بالتحذير منها ، و بعقاب من يركن إليها ، بل إنه لا يمتهنها إلا من قل ورعه ، و خف ميزان الايمان فى قلبه .

— و الداعى إلى الله هو من يقصد بعمله وجه الله تعالى ، فلذا يجب عليه أن يحرص على مداخل النفوس باللين و الرفق والموعظة الحسنة ، وستر العيوب مع البعد عن كل عبارة تجرح المشاعر ، أو يفهم منها التشهير بأى نقيصة حصلت ، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله : لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءاً و أنت تجد لها فى الخير محملا .

— كما لا ينبغى تعيير المرء بذنب عمله وقد تاب منه ، لأن رسول الله ﷺ وصحابته ضربوا صفحاً عن أعمال من أسلم من أهل الجاهلية ، و لم يذكروها لئلا يقعوا فى أعمال أهل الجاهلية التى نهاهم عنها ﷺ ، حتى لا يعير بعضهم بعضاً بنقائص أعماله السابقة ، و طمأن ﷺ القلوب بقوله : « إن الاسلام يجب ما كان قبله » وبقوله : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » والمؤسف أن يلمس فى هذا الزمان من بعض الدعاة فى أطراف المعمورة ، ممن يحسن بهم الظن ، إلا أنه ينقصهم فقه الدعوة ، ترديدهم الكلمات و أقوال عن أفراد مضى عليها زمن ، و تبرأ منها أصحابها استنكاراً و تخلصاً ، ما يشعر بتعييرهم بتلك الأشياء وكأنهم يكذبونهم فى توبتهم الماضية ، ومنهج ديننا الحنيف يرشد إلى أن خير المذنبين التوابون ، و قد جاء فى الحديث : « لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » .

— والداعى إلى الله يجب أن يتصف بالبشارة ، و فتح الآمال أمام النفوس ، و تيسير سبل الفرح أمام القلوب الخائفة ، حتى لا تصاب بالاحباط والقنوط ، وعليه أن يسترشد فى توجيهه للنفوس بقول الحق تبارك وتعالى : « قل يا عبادى

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، (سورة الزمر : الآية ٥٣ .)

و قد كان سلف هذه الأمة يكرهون الأمر بالمعروف ، و النهى عن المنكر على طريقة التعيير ، أو أمام ملأ من الناس ، أو بأسلوب العنف ، ويحبون أن يكون سراً فيما بين الآمر و المأمور كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله : المؤمن يستر و ينصح والفاجر يهتك و يعير ، و ما ذلك إلا أن الناصح يجب ألا يكون له غرض فى إشاعة عيوب من ينصح له ، حتى لا يترتب على ذلك مفسدة بالبعد و عدم الاستجابة ، بل يجب أن يكون هدف الداعى إزالة المفسدة ، و من هنا كان منهج رسول الله ﷺ فى مثل هذا الموقف : عدم ذكر الأسماء عند ما ينبه على أعمالهم حيث يكنى بقوله ﷺ : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا .. لترتاح النفوس ، و تستجيب القلوب ، و رحم الله الشافعى عند ما قال :

تعمدنى بنصحك فى انفرادى و جنبنى النصيحة فى الجماعة
فان النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعة
فان خالفتنى و عصيت قولى فلا تغضب إذا لم تعط طاعة

و إذا كان للنصح الانفرادى مع أشخاص هذا الأثر ، فهو مع ولاة الأمر و العلماء و علية المجتمع آكد و ألزم و أكثر أثراً .

مداخل ابليس :

يحرص عدو الله أن يتلمس مداخل النفوس على بنى آدم ليصدهم عن ذكر الله ، و قد تكون هذه المداخل من طريق العبادة وسوسة و تعاظماً ، أو عجباً و تكبراً و غروراً ، و لم يسلم من وسوسته حتى أنبياء الله ، فقد ذكر ابن كثير فى البداية و النهاية : أن عيسى عليه السلام صلى ببيت المقدس فانصرف ، فلما

كان ببعض العقبة عرض له ابليس فاحتبسه . فجعل يعرض عليه ويكلمه ، ويقول له : إنه لا ينبغى لك أن تكون عبداً ، فأكثر عليه و جعل عيسى يحرص على أن يتخلص منه ، فجعل لا يتخلص منه ، فقال له فيما يقول : لا ينبغى لك يا عيسى أن تكون عبداً ، قال : فاستغاث عيسى بربه ، فأقبل جبريل عليه السلام و ميكائيل ، فلما رآهما ابليس كف ، فلما استقر معه على العقبة اكتنفا عيسى و ضرب جبريل ابليس بجناحه فقذفه فى بطن الوادى ، قال : فعاد ابليس معه ، و علم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك ، فقال لعيسى : قد أخبرتك أنه لا ينبغى أن تكون عبداً ، إن غضبك ليس بغضب عبد ، و قد رأيت ما لقيت منك حين غضبت ، و لكن أدعوك لأمر هو لك ، آمر الشياطين أن يطيعوك ، فاذا رأى البشر أن الشياطين أطاعوك ، عبدوك ، أما إنى لا أقول : أن تكون إلهاً ليس معه إله ، ولكن الله يكون إلهاً فى السماء ، و تكون أنت إلهاً فى الأرض ، فلما سمع عيسى ذلك منه ، استغاث بربه ، و صرخ صرخة شديدة ، فاذا اسرافيل قد هبط ، فنظر إليه جبريل و ميكائيل ، فكف إبليس ، فلما استقر معهم ضرب اسرافيل ابليس بجناحه ، فصك به عين الشمس ، ثم ضربه ضربة أخرى ، فأقبل ابليس يهوى ، و مر عيسى و هو بمكانه فقال : يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعباً شديداً ، فرمى به فى عين الشمس ، فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية ، قال : فغطوه ، فجعل كلما صرخ غطوه فى تلك الحمأة ، قال : والله ما عاد إليه بعد .

قال الراوى وحدثنا أبو حذيفة قال : و اجتمع إليه شياطينه فقالوا : سيدنا قد لقيت تعباً ، قال : إن هذا عبد معصوم ليس لى عليه من سبيل ، و سأضل به بشراً كثيراً ، و أبث فيهم أهواء مختلفة ، و أجعلهم شيعاً ، و يجعلونه و أمه

إلهين من دون الله ، قال : و أنزل الله فيما أيد به عيسى ، و عصمه من إبليس قرآناً ناطقاً يذكر نعمته على عيسى فقال سبحانه : « يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك و على والدتك إذ أيدتك بروح القدس » يعنى إذ قويتك بروح القدس ، يعنى جبريل « تكلم الناس فى المهد و كهلا ، و إذ علمتك الكتاب و الحكمة و التوراة و الانجيل ، و إذ تخلق من الطين كهيئة الطير . . الآية » . . و إذ جعلت المساكين الك بطانة وصحابة و أعواناً يرضون بك هادياً و قائداً إلى الجنة ، فذلك - فاعلم - خلقان عظيمان ، من لقينى بهما فقد لقينى بأزكى الخلائق و أرضاها عندى ، و سيقول لك بنو اسرائيل : صمنا فلم يقبل صيامنا ، وصلينا فلم تقبل صلاتنا ، و تصدقنا فلم تقبل صدقاتنا ، و بكينا بمثل حنين الجمال فلم يرحم بكاؤنا ، فقل لهم : و لم ذلك ؟ ! .

و ما الذى يمنعنى إن زلت يدى ؟ ، قلت : أو ليست خزائن السماوات و الأرض بيدى ، انفق كيف أشاء ؟ و إن البخل لا يعترينى ، أو لست أجود من سئل ، و أوسع من أعطى ؟ أو إن رحمتى ضاقت ؟ و إنما يتراحم الراحمون بفضل رحمتى ، ولو أن هؤلاء القوم يا عيسى غذوا أنفسهم بالحكمة ، التى تورث فى قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثره على الآخرة و لعرفوا من أين أوتوا ، و إذاً لايقنوا أن أنفسهم هى أعدى الأعداء لهم ، و كيف أقبل صيامهم و هم يتقوون عليه بالأطعمة الحرام ؟ و كيف أقبل صلاتهم و قلوبهم تركن إلى الذين يحاربونى ويستحلون محارمى ؟ وكيف أقبل صدقاتهم وهم يغصبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلها وأيديهم تقطر دماً من دماء الأنبياء ، ازددت عليهم غضباً .

(٢ : ٨٨ - ٨٩)

التكفير و أسبابه فى العصر الحاضر

(الحلقة الأخيرة)

بقلم : الدكتور عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة — جامعة قطر

رابعاً : الخلط بين الكفر الأصغر و الأكبر :

وردت كلمة الكفر و الكافرين فى القرآن الكريم فى آيات عدة ، و بعضها يراد به كفر النعمة ويراد بالبعض الآخر من لم يؤمن بالله أو كذب رسولا من رسله ، أو لم يتبع ما أنزل على رسله ، من عبادات ، و تشريعات ، أو أنكر البعث ، و الحساب ، أو الجنة ، أو النار .

و الكفر : ضد الايمان ، أى من لم يؤمن بالله ، أو أشرك معه إلهاً آخر فهو كافر ، ومن لم يؤمن بالرسل ، فهو كافر ، ومن لم يؤمن بالملائكة أو الكتب المنزلة على رسله ، أو باليوم الآخر ، فهو كافر ، يقول الله تعالى : « و من يكفر بالله و ملائكته وكتبه و رسله و اليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً » (١) .

و فى هذا يقول الامام ابن تيمية « . . لأن التكفير نوعان : أحدهما كفر النعمة ، و الثانى الكفر بالله ، و الكفر الذى ضد الشكر إنما هو كفر النعمة لا الكفر بالله ، فاذا زال الشكر خلفه كفر النعمة لا الكفر بالله (٢) . . » من الكلمات التى ترد على ألسنة بعض الشباب كثيراً ، فى مجال الحكم على الانسان من جانب سلوكه الدينى : كلمتا الكفر و الفسوق ، و مشتقاتهما ، فاننا نسمع من بعض الناس يحكمون على عمل بأنه كفر .

(١) سورة النساء : الآية ١٣٦ .
(٢) مجموعة الفتاوى : ج ١١ ص ١٣٧ .

و لو استعرضنا نصوص القرآن و السنة لوجدنا أن لفظ الكفر قد يطلق فى القرآن و يراد به كفر النعمة و جحودها ، قال تعالى : « فمن شكر فانما يشكر لنفسه و من كفر فان ربى غنى كريم » (١) .

و المعنى : أ أشكر ذلك من فضل الله على ، أم أكفر نعمته بترك الشكر له ، قاله ابن جرير ، كما جاء فى زاد المسير (٢) .

فما يقابل الشكر هو كفر النعمة و جحودها ، و كذلك قوله : « من يشكر فانما يشكر لنفسه ، و من كفر فان الله غنى حميد » (٣) .

و أوضح من ذلك ما جاء فى قول الله تعالى : « و ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون » (٤) .

قوله : « فكفرت » أى كفر أهلها « بأنعم الله » التى أنعم بها عليهم ، والأنعم جمع نعمة كالأشد جمع شدة (٥) .

و قد ورد فى سنة رسول الله ﷺ ، لفظ الكفر و لا يراد به الكفر الأكبر و إنما يراد به الأصغر .

قال الله تعالى : « و الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و إثماً مبيناً » (٦) .

(١) سورة النمل : الآية ٤٠ . (٢) زاد المسير فى علم التفسير ج ٦ ص ١٧٦ ، لابن الجوزى ، المكتب الاسلامى ، طبع ٤ / ١٩٨٧م .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٢ (٤) سورة النحل : الآية ١١٢ .

(٥) انظر : فتح القدير ، ج ٣ ص ٢٠٠ ، للشوكانى ، دارالفكر ، سنة ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣ م . (٦) سورة الأحزاب : ٥٨ .

و عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سباب (١) المسلم فسوق ، و قتاله كفر » متفق عليه (٢) .

و الله تعالى يقول : « و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . . » الآية (٣) فأثبت الله لهما صفة الايمان مع اقتتالهما فظهر أن الحديث لا يعنى الكفر الأكبر.

و لخطورة هذا الأمر نهى النبى ﷺ أن يرمى الانسان غيره بالفسق أو الكفر ، عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك » رواه البخارى (٤) .

كما ورد فى السنة لفظ الكفر ، و يراد به التحريم المغلظ و ليس الكفر بمعنى الخروج عن الاسلام ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه ، فقد كفر » متفق عليه (٥) إن مجرد ارتكاب الذنوب و المعاصى لا يخرج المسلم من الملة ، ما لم يكن مستحلا لها ، و لهذا يقول علماء السلف فى المقدمات الاعتقادية : لا نكفر أحداً من أهل

(١) « السباب » بكسر السين : السب ، وهو الشتم والتكلم فى عرض الانسان بما يعنيه ، انظر المصباح المنير ص ١٠٠ ، أحمد بن محمد بن على الفيومى مكتبة لبنان ، سنة ١٩٧٨م .

(٢) البخارى ج ١٠ ص ٣٨٧ ، و مسلم برقم ٦٤ و أخرجه الترمذى ١٩٨٤ ، والنسائى ج ٧ ص ١٢١ ، و رياض الصالحين للنووى ص ٥٩٢ ، برقم ١٥٥٩/١ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(٤) صحيح البخارى ج ١٠ ص ٣٨٨ .

(٥) البخارى ج ١٢ ص ٤٦ و مسلم برقم ٦٢ .

القبلة بذنب ، و لا نخرجه من الاسلام بعمل (١) .

فالخلط بين الكفرين الأكبر و الأصغر مما وقع فيه بعض الناس فى هذا العصر ، كما خلطوا بين الفسق الذى يكون بالذنب الصغير وبالكفر ، وبين الكفر و الظلم ، فجعلوها كلها بمعنى الشرك أو مرادفة له (٢) .

فألفاظ الفسق و الظلم و حتى الكفر أحياناً أطلقت على المسلم و الكافر فى القرآن و السنة ، لذا يجب التثبت و عدم التسرع ، و كما تقدم فهناك كفر أصغر لا يخرج صاحبه عن الملة ، وكفر أكبر يخرج صاحبه عن الملة ، وكل كافر فاسق و ظالم ، و لكن ليس كل ظالم أو فاسق كافراً .

يقول بعض أهل العلم : « الفسق لغة : الخروج عن الاستقامة والجور ، وبه سمى الفاسق فاسقاً ، و شرعاً : الفاسق من أتى كبيرة ، أو أصر على صغيرة .

و الفسق قسمان : فسق اعتقادى و فسق عمل كالزنا والقتل و اللواط . . . و الملى و هو من على ملة الاسلام ، و لم يرتكب من المعاصى ما يوجب كفره ، فأهل السنة و الجماعة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة الاسلامية بالكلية ، و على أنه لا يخرج من الايمان و الاسلام و يدخل فى الكفر (٣) .

و يقول شيخ الاسلام : « إن الكفر نوعان : كفر ظاهر ، و كفر نفاق ، فاذا تكلم فى أحكام الآخرة كان حكم المنافق حكم الكفار ، و أما فى أحكام الدنيا فقد تجرى على المنافق أحكام المسلمين » (٤) .

(١) مجموع الفتاوى : ج ٧ ص ٦٧١ (٢) التكفير : ص ٦٦ .
(٣) انظر : الكواشف الجلية عن معانى الواسطية ص ٦٦٨ ، عبد العزيز السلمان مكتبة الرياض ، طبعة سادسة .
(٤) مجموع الفتاوى : ج ٧ ص ٦٢٠ .

الاستفادة من الغيرة الايمانية :

مما يسر الانسان المسلم فى هذا العصر ما نراه من صحوة إسلامية عمت كل أقطار المسلمين ، مما يبشر ببزوغ فجر جديد فى حياة المسلمين بعد ليل طويل حالك الظلام ، ولا سيما من الشباب الذى خرج إلى الدنيا و وجد الأنظمة الحاكمة فى أقطاره ، و الشعوب الاسلامية قد ابتعدت عن كتاب ربها و سنة نبيها - ﷺ - فاندفع بعض هؤلاء الشباب إلى القول بأن الحاكم الذى يوصف بأنه مسلم ثم يرفض شريعة الله ، و يعتقد بأن غيرها أفضل منها و أجدر بالتطبيق ، فهذا كافر و إن صام و صلى و زعم أنه مسلم ، ثم راحوا يكفرون كل من يخالفهم ظناً منهم أنهم على الطريق الأصوب و السبيل الأقوم .

وكان مما استند إليه هؤلاء الشباب أن المسلمين كفروا لأنهم ينطقون بالشهادة و لكن لا يعرفون معناها و لا يعملون بمقتضاها ، فهم و إن صاموا و صلوا وحجوا ، فهم كفار ، مثلهم فى ذلك مثل علبة الملح التى عليها « سكر » فالكتابة لا تغير من الواقع شيئاً .

و زادوا فقالوا : لما كان الحكام لا يحكمون بالاسلام ، و شؤون المجتمع كلها غير إسلامية ، و قد رضى الأفراد بذلك ، لذا فقد كفروا بجميع أفرادهم ، إلا إذا ثبت العكس (١) .

إن الغيرة الايمانية التى تدفع بعض المسلمين إلى تكفير من يخالفهم يجب أن يكبح جماحها و أن ترشد إلى طلب العلم الصحيح ، من أهل العلم المختصين لقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٢) و إن تكفير المسلم لمجرد ظن لا يقوم على دليل قاطع ، من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ، وقد وردت

(١) التكفير : ص ١٤١ . (٢) سورة النحل : الآية ٤٣ .

الأدلة على ذلك فى كتاب الله تعالى و سنة رسوله - ﷺ - و سوف أنهى هذا البحث بجملة من أقوال العلماء و الآيات و الأحاديث الدالة على ذلك .

يقول الامام الشوكانى (١) « وأما تكفير عوام المسلمين ، لأنهم لم يعرفوا الله تعالى بدليل قاطع على شروط أهل علم الكلام ، فانه يزداد الأمر قوة فى كفر من كفرهم ، لأن الحكم باسلامهم معلوم ضرورة من الدين و تكفيرهم جحد لذلك ، وقد دل القرآن على صحة إسلامهم حيث قال تعالى : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان فى قلوبكم » (٢) .

و يقول الامام الغزالى : « ينبغى الاحتراز من التكفير ما وجد الانسان إلى ذلك سبيلا ، فان استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة ، المصرحين بقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ .

« والخطأ فى ترك ألف كافر فى الحياة أهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم مسلم » (٣) .

و يحرم على المسلم أن يقول لأخيه المسلم كافر ، مهما كان حجم الخلاف بينهما ، و قد نهى النبى - ﷺ - عن ذلك .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، فان كان كما قال و إلا رجعت عليه » متفق عليه (٤) .

---

(١) إيثار الحق على الخلق ص ٤٣٤ للامام الشوكانى ، مطبعة الآداب سنة ١٣١٨هـ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٤ .

(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٤٣ ، للامام أبى حامد الغزالى ، طبعة محمد صبيح ، القاهرة .

(٤) البخارى ج ١٠ ص ٤٢٨ و مسلم برقم ٦٠ .

و عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول : « من دعا رجلا بالكفر ، أو قال : عدو الله ، و ليس كذلك إلا حار عليه » متفق عليه (١) « حار » : رجع (٢) .

فلا يجوز للمسلم أن يكفر غيره إلا إذا كان هناك دليل قاطع من إجماع أو كتاب أو سنة صحيحة على كفره .

فان إخراج المسلم عن دينه و نسبته إلى الكفر وإباحة دمه ، ليس بالأمر الهين الذى يسوغ إطلاقه ، اللهم إلا إذا دعم بواحد مما تقدم ، كيف و قال النبى - ﷺ - « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، و الثيب الزانى ، و المارق من الدين التارك الجماعة » (٣) .

و كما قيل :

لو كان تسعة و تسعون دليلا على كفر أحد ، و دليل واحد على إسلامه ينبغى للمفتى أن يعمل بذلك الواحد ، لأن خطأه فى خلاصه خير من خطئه فى حده و قصاصه (٤) .

و مما لفت نظرى و أنا أقلب مراجع البحث تلك النصيحة الجامعة التى

---

(١) البخارى ج ١٠ ص ٣٨٨ ، و مسلم برقم ٦١ .

(٢) انظر : رياض الصالحين للامام النووى - رحمه الله تعالى - ص ٦٤٧ .

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - و اللفظ للبخارى أخرجه فى كتاب الديات باب قوله تعالى : النفس بالنفس : ١٨٨/٤ . (٤) انظر رسالة تنبيه الولاة و الحكام : ج ١ ص ٣٦٧ .

ذكرها أحد أهل العلم حين قال : (١) « أنصح هؤلاء الشباب أن يحترموا التخصص فلكل علم أهله ، ولكل فن رجاله ، فكما لا يجوز للمهندس أن يفتى فى أمور الطب ، و لا الطبيب فى شؤون القانون ، بل كما لا يجوز لطبيب متخصص فى فرع أن يقتحم حمى فرع آخر ، كذلك لا يجوز أن يكون علم الشريعة كلا مباحاً لكل من هب و دب من الناس بدعوى أن الاسلام ليس حكراً على فئة من الناس ، و أنه لا يعرف طبقة « رجال الدين » التى عرفت فى أديان أخرى .

فالواقع أن الاسلام لا يعرف طبقة رجال الدين ، و لكنه يعرف علماء الدين المتخصصين ، الذين أشارت إليهم الآية الكريمة : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (٢) .

و قد علمنا القرآن و السنة أن نرجع - فيما لا نعلم - إلى العالمين من أهل الذكر و الخبرة « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (٣) .

و قد قال النبى - ﷺ - : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالا ، فسألوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا و أضلوا » متفق عليه (٤) .

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة ديننا وأن يرزقنا الفهم الصحيح لكتابه الكريم و سنة رسوله الكريم - ﷺ - .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . . .

---

(١) انظر : الحكومة الاسلامية ص ٢٠٣ للدكتور يوسف القرضاوى .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٢ . (٣) سورة الأنبياء : الآية ٧

(٤) البخارى ١/١٧٤ ، ١٧٥ و مسلم برقم ٢٦٧٣ و الترمذى برقم ٢٦٥٢

معقوليـــة الشريعـــة الاسلاميـــة

و الحاجة إلى إجراء عملية البحث و الدراسة عليها

—(٢)—

فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى
الأمين العام للاكاديمية الفرقانية — بنكلور (الهند)

فرض كفاية يعود على المسلمين :

هناك حقيقة ثابتة يجب أن نأخذها بالاعتبار عند الكلام فى الموضوع ، وهى أن الخطاب فى الآيات السابقـــة موجه إلى أهل الايمان خاصة ، و ذلك بصيغة المخاطبة ، على عكس الآيات التى تتعلق بنظام الكون و الطبيعـــة ، فان الخطاب فيها موجه إلى أهل العلم و العقل على العموم ، و ورد بصيغة الغيبة بقصد الدعوة إلى التأمل و التفكير فى آلاء الله و مظاهر الكون و كشف الحقائق و المعارف التى تتضمنها ، كما قال الله تبارك و تعالى :

« إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (الرعد : ٤) .

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » (الروم : ٢٨) .

لا يعزبن عن البال أن القرآن الكريم قد استعمل صيغة المخاطب لأهله (المسلمين) و صيغة الغيبة لغيرهم (المنكرين لدين الله تعالى) فى الغالب ، فيتحقق من الآيات السالفـــة ذكرها أن اكتشاف الحقائق المتعلقة بنظام الطبيعة و الكون يمكن على أيدى الأجانب الآخرين ، و ليس من الواجب اختصاص هذا العلم بالمسلمين كما هو واقع تاريخى معروف ، أما الحقائق و المعارف المتعلقة بنظام الشريعة فلا يتأتى إدراكها إلا بالمسلمين وحدهم ، لأنهم يرتبطون بدينهم و شريعتهم ارتباطاً وثيقاً وجدانياً ، لا يمكن حصوله فى غيرهم ، فكان

عليهم حقاً واجباً على الكفاية إزاء الشريعة و الدين أن يبينوا مصالح الأحكام الشرعية و الحكم الربانية و محاسن الدين العلمية و العقليـــة ، و يعرفوا الانسانية بصدق القيم الاسلامية و حقانية الأصول و الأقدار الدينية ، ليمكن بناؤهم العقلى و الفكرى ، فيتبينوا الأسارير الواضحة و الخطوط اللامعـــة و الملامح الوضيئة لشريعة الله الغراء البيضاء و دينه الحنيف القويم .

بين نظام الطبيعة و قانون الشريعة :

تلخص مما سبق أن الله سبحانه عرف عباده عموماً و المسلمين خصوصاً بأهمية التنور و التطور فكراً و نظرة بصرف وجهتهم إلى استخدام العقل و العلم بصورة خاصة، و دعاهم إلى دراسة كل شئ دراسة جادة متعمقة ، لطلب الحقيقة، و صادقه فى البحث عن أصل الهدف فى كتابه العزيز خلال آياته الواضحة المتعددة — و لذلك عندما يؤكد على إبراز الدروس و البصائر الكامنة فى نظام الطبيعة فى جانب يؤكد على كشف الأسرار و الرموز الموجودة فى قانون الشريعة فى الجانب الآخر — و ذلك يعنى بوضوح أن نظام الطبيعة أو الاكتشافات الحديثة لا تعارض فى شئ ، ولا من أى ناحية نظام الشريعة و قانونها أو الأحكام الالهية ، أو فى تعبير آخر: إن الدراسات و التحقيقات العلمية الحديثة لا تضاد الدين و الشريعة بوجه من الوجوه ، كما هى النظرة الخاطئة التى يحملها بعض الناس، بل العكس من ذلك تبرز للعيان كثير من الحقائق و الدقائق بالنسبة للشريعة الاسلامية و الدين الحنيف بفضل الاكتشافات الحديثة و التحقيقات الجديدة ، يطلع وجه جديد من إعجاز التعاليم و العقائد الاسلامية عند مشاهدة هذه الحقائق ، فلا ينبغى للمسلمين أن يفزعوا من هذه العلوم و الكشوف الحديثة ، بل الحاجة اليوم هى التوجيه الصحيح للعالم البشرى باثبات صدق الشريعة و العقيدة الاسلامية و تفوقهما فى ضوء العلوم و الفنون الحديثة ، فان العالم اليوم فى انتظارنا للقيام بمسئوليتنا و أداء واجبنا ، لأن آماله معقودة بنا بعد ما انقطعت عن غيرنا .

و الواقع أن الجمع و التطبيق بين قانون الشريعة و نظام الطبيعة و تلاءمهما توضح حقيقة ثابتة ، وهى أن الله الذى خلق هذا الكون المختلف الألوان هو الذى شرع لهداية الانسان قانوناً أبدياً خالداً ، و كما أن أصول الطبيعـة لا يطرأها شئ من التغيير ، كذلك القوانين التى سنها الله سبحانه لا تقبل أى تغيير أو تبديل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » و كما أن نظام الطبيعة قانون على مبرأ من العيوب ، كذلك قانون الشريعة قانون على لا ريب فيه ولا عيب ، فمن مطالعة هذا الكون المادى تكتشف مدى قدرة الخلاق العليم البديعة ، كما تظهر باستعراض نظام الشريعة معجزة تشريعية غريبة ، فكل منهما يدفع الانسان فى ورطة التحير و الاندهاش ، و ذلك أنهما بعيـدان عن قدرة الانسان و وسعه و المجهودات البشرية ، ولو لم يكونا كذلك لكان لزاماً أن يلحقهما التغيير و التبديل و يتجاوزا مراحل الزيادة و التعديل ، كشأن القضايا و الشئون التى ترتبط بجهود الانسان العلمية و العقلية .

ضرورة تكوين نخبة من أهل العلم :

و هذا العمل يحتم على المسلمين إيجاد نخبة تضم العلماء البارزين ، الذين يتصفون بحصافة الرأى و استنارة الفكر ، و يكون من أولى واجباتها إيضاح الحقائق و المعارف و كشف الأسرار و الرموز و إثبات حقانيـــة نظام الشريعة الاسلامية و تفوقه على كل الأديان ، و على رؤوس الأشهاد ، من الناحيـــة العلمية و العقلية ، حتى تقوم بتوجيه المسلمين فى القضايا و الشؤن الحديثة ، على وجه صحيح فى جانب ، و تعريف الأمم الأخرى فى العالم بالنظام الاسلامى فى الحياة على الوجه المطلوب فى الجانب الآخر ، و تستطيع إتمام الحجة عليها ، ففى الآيات التالية أمر بتأليف مجموعة خاصة بين المؤمنين تتفرغ لأداء واجب الدعوة و التوجيه و الارشاد نحو الأمة و البلاد و البشرية جمعاء .

قال تعالى : « و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر » (آل عمران : ١٠٤) .

و قال تعالى سبحانه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر » (آل عمران : ١١٠) .

ما هو المعروف و المنكر ؟ :

و فى هاتين الآيتين كلمة المعروف و المنكر ، لهما أهمية بالغة تتطلب الانتباه والتأمل فى سعة معناهما ، فانهما على عمومهما تحملان معنى واسعاً و مفهوماً بليغاً ، فكلمة المعروف تتضمن كل ما فى إمكانية النفع و الافادة و الخير للانسان ، ليس من الناحية الدينية و الشرعيـــة فحسب ، بل من الناحية العلمية و العقلية كذلك ، و مثلها كلمة المنكر ، فانها أيضاً تتضمن كل ما يمكن أن يلحق الضرر و الفساد بالمجتمع الانسانى ، سواء من الناحية الدينية أو العقلية ، و على ذلك فابراز محاسن الدين و الشريعة و منافعهما لأعين الناس فى ضوء العلوم و الفنون الحديثـــة نوع من عرض المعروف عليهم ، و كذلك إثبات الأمور التى قبحها الاسلام وشنعها فى ضوء العلوم و الفنون الحديثة ، ضرب من دعوة النـاس إلى الامتناع عن المنكرات ، فلو استطعنا إثبات القيم الدينية و الأقدار الاسلامية من حيث المعروف و المنكر فى ضوء العلوم و الفنون الجديدة لكان هذا العمل من المآثر التجديدية الكبيرة فى العصر الحاضر ، و هذا ما يطالبه القرآن من مسلمى كل عصر أن يوضحوا مفهوم المعروف و المنكر بمعنى الكلمة فى ضوء العلوم الجديدة و القضايا الراهنة و يعرفوا بالقيم الدينية ، فيتمتعوا بحياة خالدة مطمئنة .

و ذلك ببداهة من الضرورات المحتومة فى عصرنا المعـاصر ، و يعود على المسلمين كواجب كفائى ، فان تقاعد جميع المسلمين عن أدائه يشملهـــم الاثم جميعاً من دون استثناء ، فان الله سبحانه لا يريد تغليب دينه المتين بالسيف

و الساعد و القوى المسلحة ، و إنما يريد ذلك بالعلم و العقل و قوى الأدلة و البراهين ، كما قال تبارك اسمه :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله » .
(التوبة : ٣٣)

و قال جل شانه : « لئلا يكون للناس على الله حجة » (النساء : ١٦٥) .

فحجة الله هذه لا تتم ولا تتحقق إلا عن طريق الاستدلال و الاستنتاج و فى مجال العلم و العقل فحسب ، لأن الفلسفة لا تقاومها إلا فلسفة مثلها ، كالعقل لا يبارزه إلا عقل يشبهـــه ، كما هو المثل السائر (لا يفل الحديد إلا الحديد) ولو أن شخصاً لجأ إلى حجارة فى رده على الدليل العقلى من خصمه ، فمن الممكن أن يكسر رأسه ، و لكن يستحيل أن يستسيغ العقل فعلته و يبررها ، فلا يمكن أن يعترف العالم بعظمته ، بل يعتبر هذا التظاهر بالقوة هزيمة فى نظر العقل .

الحاجة إلى تأسيس دار بيت للشريعة :

الخلاصة أن كشف المحاسن و الفضائل العقلية فى القضايا و الأحكام الشرعية فى ضوء العلوم و الفنون الحديثة ، بعد إجراء الدراسات و البحوث على القوانين و الشريعة الاسلامية مطلب مهم جداً فى هذا العصر ، لأن أحكام الشريعة ما هى إلا علم و حكمة و عقل ، لا يسع العلم الانسانى فى أى عصر وحين أن يهملها أو يبطلها على المنطق الصحيح ، بل تكون أصيلة خالصة على محك العقل و العلم دائماً عبر العصور و الأزمان ، لأن قانون الشريعة و نظام الطبيعة لا يحدث بينهما أى نوع من الاصطدام و التعارض ، و ذلك أنهما نابعان من معين واحـد ، و استخلصت قوانينهما و أصولهما كذلك من مصدر واحـد ، فان الذى وضع أصول الطبيعة هو نفسه الذى وضع قوانين الشريعة ، فكيف يمكن بينهما التخالف و الاصطدام ؟

و لأجل ذلك أكد الله سبحانه و تعالى فى كتابه العزيز بصورة خاصة على العلماء البارزين أن يتعمقوا فى مسائل الدين و أحكام الشريعـــة بالنظر الدقيق و التأمل الزائد ، لتتكشف للناس رموزها و أسرارها ، حتى يدركوا وصف علمه و حكمته سبحانه ، اللذين هما من مظاهر علمه الأزلى ، و يمثلان تشريعه الأزلى و تخطيطه القديم ، فكلما تتكشف الأسرار و المعارف التى ترتبط بالكون و نظمه و آلاته الداخلية ، بفضل الدراسات والتحقيقات الحديثة ، تكون أحكام الشريعة مؤيدة مدعمة ومحتومة بالدلائل و التصاديق ، و يتجلى شأن الله سبحانه فى تخطيطه الدقيق و قدرته الخارقة ، فيما يقول :

« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » (البقره : ٢١٩) .

و قال سبحانه يبين كلية عامة فى ذلك : « وما يذكر إلا أولو الألباب » (البقره : ٢٦٩) .

و قال سبحانه و تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر أولو الألباب » (ص : ٢٩) .

تحقيقاً لهذه الأهداف السامية و الغايات النبيلة قررت الاكاديمية الفرقانية تأسيس مركز شامل موسع للبحث و الدراسة و التحقيق باسم « دار الشريعـــة » بمدينة بنجلور فى الهند الجنوبية ، يضم نخبة فذة من العلماء الأكفـاء ذوى الصلاحيات المطلوبة ، تخصص لهم الوظـائف كمشاركين عمليين ، يكبون على عمل الدراسة و التحقيق على الجوانب المختلفة من الشريعة الاسلامية إلى جانب التوجيه الصحيح ، و فى الوقت المناسب للامة المسلمة فى المسائل الجديدة متبادلين التعاون فيما بينهم ، و ذلك من أهم المشروعات التى تتفق و مقتضيـات العصر ، فيجب على جميع الحركات الاسلامية أن تتعاون مع الأكاديمية علماً و أدباً و توجيهاً ، و الله هو الموفق وهو المستعان .

نظام القضاء الشرعى فى الدول غير الاسلامية

—(٢)—

بقلم : فضيلة الأستاذ عتيق أحمد القاسمى
أستاذ الفقه و الحديث فى دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ
تعريب : محمد فهيم أختر الندوى

كلام بعض الفقهـاء يدل على أنه لا يجوز نصب القاضى من جهة عامة المسلمين أو أهل الحل و العقد منهم فى أى حال ، كما جاء فى الفتاوى الهندية :

« إذا اجتمع أهل بلدة على رجل وجعلوه قاضياً يقضى فيما بينهم ، لا يصير قاضياً ، ولو اجتمعوا على رجل وعقدوا معه عقد السلطنة أو عقد الخلافة يصير خليفة و سلطاناً » (١) .

و هـــذا واضح صريح فى معناه ، و لكن دراسة أقوال الحنفية المختلفة تكشف لنـا أن الحكم المذكور فى الفتاوى الهندية إنمـا هو لعامة الأحوال ، إذ لا ضرورة إلى نصب القاضى من جهة عامة المسلمين فى وجود السلطان أوالخليفة ، فمثلا إذا مات قاضى البلدة ، يطلبون من السلطان نصب قاض آخر ، ولا يناهم حرج إذا مضت مدة يسيرة فى طلب نصب القاضى من السلطان ، تتأخر المرافعات لعدة أيام ، فان نصبهم القاضى فى وجود السلطان يعتبر خروجاً عليه ، و الخليفة أو السلطان لا يكون إلا ليقوم بتنظيم المناصب الدينية و الأمور الاجتماعية ، وفى منح عامة المسلمين حق إقامة القاضى عند وجود السلطان تحرج واختلال لاغير .

(١) الفتاوى الهندية ج ٣ ص ٣١٥ .

تصرح أهم كتب المذهب الحنفى أن عدم اعتبار نصب القاضى من جهة عامة المسلمين ، إنما يختص بما إذا لم تكن هناك أى ضرورة إلى ذلك .

و فى جامع الفصولين :

« أهل البلدة لو تبايعوا على سلطنة أحد يصير سلطاناً بخلاف القاضى لضرورة فى الأول لا فى الثانى » (١) .

و فى الفتاوى البزازية :

« اجتمع أهل البلدة و قدموا رجلا على القضاء ، لا يصح لعدم الضرورة ، و إن مات سلطانهم و اجتمعوا على سلطنة رجل جاز للضرورة » (٢) .

فظهر أن قول الفقهاء ببطلان نصب القاضى من عامة المسلمين معلل بعدم الضرورة ، إنهم كانوا فى بلدان إسلامية ، لم يكونوا يتصورون بوجود بلدة يعيش أهلها بدون أمير مسلم ، و الواقع أنه لم تكن هناك أى ضرورة فى وجود الأمير المسلم إلى نصب القاضى من العامة ، بل كان فى ذلك ضرر و فساد ، أما البلدان التى يعيشها المسلمون ، و هى تحت سلطة غيرهم ، و لا يستطيعون أن يجتمعوا فيها على أمير مسلم ، ففى مثل هذه البلدان تمس الحاجة بشدة إلى نصب القاضى ، ولا ينكر ذلك أحد .

قال ابن عابدين بعد سوق أقوال الفقهاء الأحناف بهذا الصدد :

« قلت : و هذا حيث لا ضرورة ، و إلا فلهم تولية القاضى أيضاً كما يأتى بعد » (٣) .

(١) جامع الفصولين ج ١ ص ١٩ .

(٢) الفتاوى البزازية ج ٢ ص ١٣٠ على هامش الجزء الخامس من الفتاوى الهندية .

(٣) الشامى ج ٤ ص ٣٤٢ .

و كلام ابن عابدين صريح فى أن أقوال الفقهاء الأحناف الدالة على بطلان نصب القاضى إنما هى فى الأحوال العامة ، حيث لا تستدعى الضرورة إلى نصب المسلمين القاضى لوجود الخليفة ، و لكن إذا لم يكن سلطان مسلم ، و كان المسلمون تحت سلطة غيرهم تشتد الحاجة هناك إلى نصب القاضى من جهة المسلمين ، و يكون ذلك صحيحاً بلاشك ، و منسجماً مع مقاصد الشريعة ، و الظاهر أن أمر نصب القاضى إذا أبطل فى مثل هذه الأحوال الخاصة أيضاً لأدى ذلك إلى تعطل أمر القضاء الشرعى الذى هو حاجة دينية كبرى فى المجتمع الاسلامى ، و ينال المسلمين الضيق و الحرج ، و تضيع الحقوق و يستفحل الشر والظلم ولا تنحل كثير من القضايا العائلية ، فاذن لاشك فى جواز نصب القاضى من جهة المسلمين فى هذه الأحوال ، و يؤيد قول ابن عابدين الشامى ماسقناه فى أول المقال من كلام « المواقف » و « المقاصد » .

و قول ابن عابدين السابق ذكره « كما يأتى بعد » المراد منه ما جاء فى التتارخانية ، فانه ذكر تحت شرح كلمة « ولو كافراً » كلام التتارخانية ، ثم ذكر كلام فتح القدير ، و مسألة نصب القاضى من المسلمين ذكرت فى التتارخانية ، و هذا نصه :

« و أما بلاد عليها ولاة كفار فيجوز للمسلمين إقامة الجمعة و الأعياد ، و يصير القاضى قاضياً بتراضى المسلمين ، فيجب عليهم طلب وال مسلم (١) .

و لا يستقيم المراد من قوله « كما يأتى بعد » كلام فتح القدير ، فانه ليس فيه ذكر نصب القاضى من جهة المسلمين ، بل فيه أن يجتمع المسلمون على وال مسلم ، و هو ينصب القاضى ، و ليس هذا ما نحن فيه .

(١) الشامى ج ٤ ص ٣٤٢ .

بعض ملاحظات هامة :

تكرر ذكر كلمة « تراضى المسلمين » ، فهل المراد منها تراضى جميع المسلمين أو تراضى أهل الحل والعقد فحسب ، و إذا كان المراد الثانى ، فمن هم أهل الحل و العقد ، هل يلزم تراضى جميع أهل الحل و العقد أو يكفى بعضهم أو أكثرهم .

و للوقوف على جواب تلك الأسئلة نحتاج إلى مطالعة قضية نصب الامام، إن قضية نصب الامام فى الواقع قضية فقهية ، و لكنها بسبب كونها قضية عظيمة الشأن ، و ظهرت بها فرق مختلفة ، ثم بسبب عقيدة الامامة فى الشيعة أصبحت قضية عقائدية ، و تحدث المتكلمون أولا على موضوع الامامة ، و تجادلوا عليها، أما الفقهاء فلم يعتنوا بهذه القضية كثيراً اتكاءاً على عناية المتكلمين البالغة عليها .

لاشك أن ما تناول المتكلمون من البحث على هذه القضية ، له من الأهمية و القيمة مالا ينكر ، و لكن ذلك لا يلقى الضوء كثيراً على مسألة الامامة الفقهية و القانونية ، و لكن الفقهاء أوضحوا هذا الجانب فيما كتبوه على موضوع الأحكام السلطانية .

إن مسألة القضاء مرتبطة بمسألة الامامة ، فالمسئولية تعود أولا على إمام المسلمين لفصل الخصومات ، و لكن أشغاله المنوعة الكثيرة لا توسع فى وقته حتى يجلس للفصل، لذلك كلفته الشريعة أن ينصب القاضى فى كل بلدة من بلاد المملكة الاسلامية، لينال كل ذى حق حقه بسهولة، فالقضاء جزء للامامة ، لذلك إذا عدم السلطان فتولية نصب القاضى تأتى بأيدى الذين يستحقون نصب الامام.

مسئولية نصب القاضى على من ؟ :

إن قضية نصب الامام و نصب القاضى كليهما فرض كفاية ، و الأمة بمجموعها مكلفة بأداء فرض الكفاية ، لا كل فرد من أفرادهـــا ، فالمسئولية

تعود أولا على من يتأهلون للأداء ، أو يستطيعون تقديم أى معونة فى سبيل الأداء ، و الواضح أن كل فرد لا يتأهل لنصب الامام ، إنما يستحق لذلك من يكون عارفاً على الأقل بالشروط التى لابد من توافرها فى الامام من الأوصاف و المؤهلات و العوامل الداعية إلى التعيين ، ومن هنا قال الفقهاء و المتكلون : إن حق اختيار الامام لا يكون لعامة المسلمين ، بل لأهل الحل و العقد منهم .

يقول الامام أبو الحسن الماوردى :

و الامامة تنعقد من وجهين ، أحدهما : باختيار أهل الحل و العقد ، و الثانى ! بعهد الامام من قبل (١) .

و قال الامام ولى الله الدهلوى :

« الطريقة الأولى لعقد الامامة بيعة أهل الحل و العقد (٢) » .

ومثل نصب الامام نصب القاضى ، فلا يكون ذلك بأيدى عامة المسلمين ، بل أهل الحل و العقد منهم ، و لابد من ملاحظة أن الاسلام ليس كالنظام الديموقراطى للغرب يمنح كل فرد حق إدلاء رأيه فى كل مسألة ، بل هو يؤكد أن حق إدلاء الرأى فى أى مسألة إنما يحصل لمن يكون على علم تام بحقيقتها و أهميتها و دائرة عملها و الصفات اللازمة لها .

و من هذا التفصيل كله اتضح لنا أن مسئولية نصب القاضى إنما هى فى الواقع على أهل الحل و العقد ، وهم يستحقون لذلك شرعاً .

و أما المراد من أهل الحل و العقد ، فترى عند الفقهاء و المتكلمين رأيين عن ذلك .

(١) الأحكام السلطانية ص ٦ .

(٢) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ج ١ ص ١٤ .

الأول : ما ذكره شارح المقاصد ، و هو « من العلماء و الرؤساء و وجوه الناس (١) ، و قال ولى الله الدهلوى :

الطريقة الأولى : بيعة أهل الحل و العقد من العلماء و القضاة و الأمراء و وجوه الناس (٢) .

و اعتباراً بهذا الرأى يدخل فى أهل الحل و العقد ، وجوه الناس لمختلف شعب الحياة الذين يستعضدهم الخليفة فى إبقاء سلطته .

و الرأى الثانى : رأى الامام أبى الحسن الماوردى الشافعى ، و إنه اختار بدل اصطلاح أهل الحل و العقد لفظة « أهل الاختيار » ، يقول :

« أما أهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة ، أحدها : العدالة الجامعة لشروطها ، و الثانى : العلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها ، و الثالث : الرأى و الحكمة المؤديان إلى اختيار من هو أصلح للامامة ، و بتدبير المصالح أقوم و أعرف (٣) .

و الرأى الثانى هذا يحدد دائرة أهل الاختيار ، فلا يدخل فى زمرة أهل الاختيار لنصب القاضى إلا من كانوا مع اتصافهم بالعدالة — حسب معناها الاصلاحى شرعاً — يحملون من العلم ما يمكن بهم التوصل إلى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها ، كما يكون لهم اطلاع بأحوال زمانهم و مجتمعاتهم ، يستطيعون بذلك إلى اختيار من هو أصلح للامامة .

و الرأى الثانى الذى ذهب إليه الماوردى أسد و أجمع عندى ، و لكن الرأى الأول الذى وسع فى دائرة أهل الحل والعقد توسيعاً دخل فيه وجوه الناس لمختلف شعب الحياة أيضاً ، يبتنى على الحكمة و مطالعة الأحوال الواقعية ، كان عند أصحاب الرأى الأول مجتمعات دار الاسلام ، و لم يكن يتصور فيها السلطان

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٧٢ . (٢) إزالة الخفاء ج ١ ص ١٤ .
(٣) الأحكام السلطانية ص ٦ .

بدون القوة ، فاذا تضعفت شوكة سلطان تغلب عليه آخر ، ويأخذ منه الامامة ، و الشروط تسقط عند التغلب ، و يصبح الغالب إماما ، لذلك وسع الفقهاء و المتكلمون دائرة أهل الاختيار و أدخلوا فيهم وجوه الناس لكل شعبة من شعب الحياة ، ليكون من اختير إماما مستعضداً قوته من جميع أعيان البلد ، ولا يجترئ الخروج عليه أحد ، ومن هناك قال بعض المتكلمين : لو أصبح رجل واحد من الأمة ذا قوة نافذة و يد متصرفة ، و الأمة كلها تعضده و تقويه و تعتمد عليه فبيعة هذا الرجل الواحد تكفى لعقد الامامة ، (١) .

أما المسلمون تحت سلطة غير المسلمين حينما يختارون أميرهم أو قاضيهم فلا تكون هناك شوكة و قوة ، و لا يكون خطر تغلب آخر عليه ، و لكن التأييد الخلقى والنفوذ المعنوى لابد منهما هناك أيضاً ، ولذلك فان نصب القاضى يتم أساسياً من الذين تتوافر فيهم تلك الشروط الثلاثة السابق ذكرها فى كلام الماوردى ، و لكن من الضرورى اشتراك وجوه الناس المتدينين لمختلف شعب الحياة أيضاً فى اختيار القاضى إتماما لمقاصد الشريعة ، حتى يحصل للقاضى المختار القوة الخلقية و المساعدة الكبيرة فى عامة الناس ، و لا يعرض أحد عن قضاياه لأن من المعلوم أن الضغط الاجتماعى و الخلقى أكبر تأثيراً من القوة المادية .

أما السؤال أنه هل يلزم اتفاق جميع أهل الحل والعقد ، أو أكثرهم أو بعضهم ، فنقول : إن شرط اتفاق جميع أهل الحل و العقد باطل صريحاً ، لأننا إذا اعتبرنا هذا الشرط لأصبح من العسير نصب أمير أو قاض فى أى بلدة إلا نادراً ، اتفاق جميع أهل الحل و العقد ممكن عقلا و مستحيل عادة و عملا ، و خاصة فى الظروف الراهنة ، و فى المسلمين الذين يعيشون تحت سلطة الكفار لم يكن تم اتفاق جميع أهل الحل و العقد على خلافة سيدنا أبى بكر الصديق ، و لذلك أبطل ولى الله الدهلوى شرط اتفاق جميع أهل الحل و العقد فى اختيار الخليفة ، فان ذلك ممتنع لديه ، يقول .

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٧٢ .

لايشترط اتفاق جميع أهل الحل والعقد للبلاد ، فان ذلك مستحيل » (١)

و يقول شيخ الاسلام ابن تيمية .

« من قال أنه يصير إماماً بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة ، و ليسوا هم ذوى القدرة و الشوكة ، فقد غلط كما أن من ظن أن تخلف الواحد أو اثنين أو العشرة يضر ، فقد غلط » (٢) .

كيف يتم نصب القاضى فى بلاد يسكنها المسلمون تحت سلطة غير المسلمين ، لا يوجد عن ذلك تفصيل فى الفقه الحنفى ، و يوجد فى الفقه الشافعى ، ففى الفتاوى الكبرى ذكر فتوى العلامة أبى الحسن الأصبحى الشافعى :

« إذا عدم فى قطر ذو شوكة و حاكم ، ولم يوجد للمرأة ولى ولا للاطفال وصى ، فهل لجماعة من أهل البلاد نصب فقيه يتعامل الأحكام فى الأبضاع و الأموال ، فأجاب الأصبحى - رحمه الله - بقوله : نعم ، إذا لم يكن رئيس يرجع أمرهم إليه ، اجتمع ثلاثة من أهل الحل و العقد و نصبوا قاضياً (٣) »

يظهر من كلام الأصبحى أنه لا يلزم لديه فى نصب القاضى حتى اتفاق أكثر أهل الحل و العقد ، و لكن كلام الفقهاء الآخرين من الشافعية يدل على أن المجلس الذى يتم فيه اختيار القاضى وإن لم يحضره جميع أو أكثر أهل الحل و العقد ، و لكن لابد أن يكون للقاضى تأييد أكثر أهل الحل و العقد و ارتضاؤهم به ، جاء فى فتح المعين :

« لابد من تولية من الامام أو مأذونه ، ولو لمن تعين للقضاء ، فان فقد الامام ، فتولية أهل الحل والعقد فى البلد أو بعضهم مع رضا الباقين ، ولو ولاه أهل جانب من البلد صح فيه دون الآخر (٤) » .

(١) إزالة الخفاء ج ١ ص ١٤ ، ١٥ . (٢) منهاج السنة ج ١ ص ١٩٠ .
(٣) الفتاوى الكبرى ج ٤ ص ٣٢٦ . (٤) فتح المعين ص ٢١٠ - ٢١١ .

و هذا قريب مما قاله الأحناف :

و يصير القاضى قاضياً بتراضى المسلمين

خلاصة القول :

يتضح مما قاله الفقهاء أن نصب القاضى لابد أن يتم بطريقة تؤدى إلى الوحدة ، يعتمد عليه أكثر أهل الحل والعقد وأكثر عامة المسلمين ، ولايكون أن ينصبه شرذمة من الناس ليس عليهم اعتماد فى المسلمين ، و يتسبب ذلك للتشتت و التفرق .

و قد أجاب العلامة صالح التونسى المالكى على سؤال العلامة أشرف على التهانوى بقوله :

« ونصب جماعة المسلمين لقاض يفصل بينهم الخصومات و يقطع المنازعات جائز ، بل يتعين على الأعيان إذا وجدوا سبيلا إليه و عدم معارض و اجتماع الكلمة عليه (١) » .

و هذا الكلام أيضاً دال على أن طريقة نصب القاضى لابد أن تكون بحيث تتسبب للوحدة و الاجتماع ، و يحصل التراضى على أكبر مستوى ممكن ، و غنى عن البيان أن لامعنى لاتفاق أفراد معدودين ، كما لا يضر مخالفتهم .

و فذلكة البحث أن نظام القضاء الشرعى فريضة لازمة فى كل مكان يسكنه المسلمون ، و ذلك لأن من الواجب على المسلمين أن يكون فصل قضاياهم حسب ما أنزل الله ، و ذلك لا يتم إلا بنصب القاضى ، و إذا كان السلطان موجوداً ، فعليه إقامة هذا النظام مثل إقامة النظم الأخرى الدينية والاجتماعية ، أما البلدان التى ليس فيها سلطان مسلم ، و المسلمون يعيشون تحت سلطة غيرهم ، ففيها تعود فريضة إقامة الشعب الدينية الاجتماعية على عامة المسلمين ، و أهل الحل و العقد منهم بصفة كونهم ممثلين لهم و مسئولين عن إقامة تلك الأمور الاجتماعية ، أما جواز نصب القاضى من أهل الحل والعقد فى البلدان التى عليها سلطة غير مسلمة ، فمذكور فى أهم كتب علم الكلام وفى الكتب المعتبرة الفقهية للمذاهب الأربعة كلها .

(١) الحيلة الناجزة ص ١٦٥ .

التعليم العـــالى للنساء فى الغرب

— ٢ —

دكتور أنيس أحمد

الجامعة الاسلامية العالمية (ماليزيا)

و وفقاً لمبادئ الصهيونية و الاشتراكية و بناء الأمة ، فى إطار هذا النموذج الاقتصادى الزراعى القائم على المساواة ، يفترض الولاء للفلسفة الاجتماعيـة الراديكالية ، و تنكر تلك المستوطنات وجود بنـاء عائلى رجالى (أى قوامه الذكور فقط) فيها ، ذلك أن نظام الحياة البديل الذى يطرحه هـــذا النموذج الاقتصادى لا يستبعد النظام الأسرى الذى يتسيده الرجال فحسب ، بل يؤدى إلى قيام نظام اجتماعى فى الحياة لا يتحتم فيه الارتباط برباط الزوجية ، و يشير أحد علماء الاجتماع المعاصرين إلى ذلك الموقف الاجتماعى المرتبط بفلسفة النظـام فى المستوطنات قائلا : « و حتى يتم إلغاء نظام الزواج تماماً أو ينظر إليه باعتبـاره ضرباً من العار ، فانى أخشى أن تظل النساء فى هذا الوضع دون بذل جهد يذكر لتحسين أوضاعهن » (١) .

إن الأسلوب البديل للحياة فى المستوطنات فى صورته المثالية يجعل من الأعمال المنزلية نشاطاً مشتركا يؤديه الجميع بصورة مشتركة ، فواجبات الطعام التى تقدم للجماعات الكثيرة المماثلة فى العمر بدءاً من الأطفال الرضع إلى البالغين تقدم لهم فى صورة جماعية ، ويسرى هذا النظام على الأطفال فى مختلف أعمارهم

(١) فيجس ايوا « فكرة بطريركية » كرينويج ، كون ١٩٧١ ص /١٨١ .

و كذلك الصبية و من هم فى مقتبل العمر ممن لم يتخطوا العشرين من أعمارهم ، و ذلك عند التخطيط لمختلف الخدمات لكل مجموعة .

و من حيث المبدأ أصبح طلب النساء أن يعملن بخلاف الرجال فى أعمال طهى الطعام و تقديمه وغسله الأوانى ، كما أن أعمال غسل الملابس وكيها أعمال يقوم بها الجميع عـــلى أساس دورى ، أما الأطفال حديثو الولادة ، من أسبوعين إلى ستة أسابيع ، فكان أمر رعايتهم يعهد إلى مربيات مدربات ، وحتى تلك النسبة من المستوطنات و التى لا تتجاوز ١٠ ٪ و التى يسمح فيها للاطفال بالبقاء بصحبة آبائهم و أمهاتهم خلال النهار . فان أمرهم يوكل إلى معلمين مدربين ، و قد يعد هذا الوضع مثالياً من شأنه أن يخفف الكثير عن كاهل الرجال والنساء خاصة من حيث الالتزامات الاقتصادية التى يتحملونها تجاه بعضهم البعض أو تجاه أطفالهم ، إن الأوضاع الاجتماعية فى هذه المدن المثالية ، لا ترتبط بالأوضاع القانونية أو الاقتصادية أو الحالة الاجتماعية للفرد ، فالمرأة فى هذا المجتمع تتحدد مكانتها وفقا لقدراتها الانتاجية من الناحية الاقتصادية بغض النظر عن حالتها الاجتماعية من حيث كونها متزوجة أو غير متزوجة أو مطلقة أو حتى أما لأطفال خمسة » .

و لكن الأوضاع فى دنيا الواقع تختلف عن ذلك كثيراً ، فمضى الوقت قام فى هذه المستوطنات نظام يفرق بشكل واضح فى تقسيم العمل بين الجنسين ، فقد عهد إلى النساء فى ظل هذا التقسيم بمهام الخدمات من طهى وغسيل وحياكة و رعاية الطفل و ما إلى ذلك ، و لعله من الجدير بالذكر أن نشير إلى أنه فى المراحل الأولى لقيام هذه المستوطنات كان العديد من النساء يتعمدن المغالاة فى الانغماس فى أوجه نشاط الرجال بهدف تحقيق مساواتهن بهـــم ، و مع ذلك

لم تشهد المستوطنات مثل هذه المحاولات من جانب الرجال لتولى المسئوليات والقيام بالأعمال التقليدية التى تقوم بها النساء عادة (١) .

لقد أدى ذلك فى النهاية إلى شعور النساء بخيبة الأمل ، ونجد اليوم أعدادا كبيرة من النساء يعبرن صراحة عن عدم رضائهن عن تلك الأوضاع ، بل لقد دفع هذا بأكثر هؤلاء النسوة استياءاً إلى اتجاه يصفه بعض العقديين بأنه ردة جماعية تشهدها المستوطنات (٢) .

لهذه التجربة اليهودية الصهيونية أهميتها بالنسبة لنا لأسباب ثلاثة : فهى .

أولا : تتكشف لنا كيف أن الدولة التى لها أية عقيدة تلتزم بها ، تحاول أن تترجم هذه العقيدة فى شكل منهج و أسلوب للحياة ، إن باكستان أولا و قبل كل شىء ، دولة تقوم على العقيدة الاسلامية ، إلا أن إسلامية الدولة أمر لم يتحقق بعد ، برغم الوعود و التأكيدات الشفوية المتكررة .

و ثانياً : أن تجربة المستوطنات الاسرائيلية التى أشرنا إليها تثبت لنا بوضوح أن الاطار الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للحياة وفقاً للمفهوم الغربى والاشتراكى الذى يعول عليه أساساً للمساواة بين الرجل و المرأة ، قضية خاسرة ، فبعد معركة طويلة من أجل المساواة ، نجد أن النساء فى تلك المستوطنات ، بعد أن خسرن

(١) روبين ، الاجناس : التصور والحقيقة فى الكيبوتز اليهودية ، فى سيوارد و ويليم سون ، ، الجنس يحكم فى المجتمع المتغير ، نيويورك ، راندوم هاؤس ١٩٧٠م ص / ٣٠٤ .

(٢) بلومبرغ راى ليسير ، تأكل المساواة الجنسية فى الكيبوتز ، تفسير بنائى ، فى رابرت ، ، وراء الثقافة الجنسية ، : امرأة حديثة ، حقيقة حديثة ، نيويورك ١٩٧٦م ص / ٣٢١ .

معركة المساواة ، يحاولن أن يؤهلن أنفسهن على النحو الذى يتفق مع ذلك الاطار الذى سبق أن استنكرنه ، إن أنصار المساواة بين الرجل و المرأة فى باكستان ، لم يتعلموا شيئاً من هذه التجربة بعد .

و ثالثاً : إن الأساس الفلسفى لمبـــدأ مساواة النساء بالرجال فى إطار تلك التجربة ، واضح أنه أساس مادى بمعنى أن عملية تقييم الرجل العامل أو المرأة العاملة تجرى وفقا لانتاج كل منهما من الناحية الاقتصادية ، وهذا المفهوم النفعى المجرد ذو الصبغة الآلية مفهوم يتنكر للقيم الانسانية الراقية التى لا يمكن قياسها وفقاً لمعايير الكسب الاقتصادى ، بل حتى فى المجتمع الغربى العلمانى نجد أن الفلاسفة و علماء الاجتماع ، بعد كل ما تشربوه من الحضارة الغربية ، يرفعون أصواتهم ضد مآسى مجتمع التقانة و الثقافة (١) .

(١) باتريم ، سوروكين ، أزمة عصرنا ، نيو يورك دوتون ١٩٤١م ، دراسة تمثيلية اجتماعية ونقد للثقافات الغربية الحديثة ، استورت كيس ، الدراسة الكاملة للبشرية ، نيويورك هاربرورو ١٩٥٦م يمثل نقداً من ظاهرة العلوم الاجتماعية ، الصيف ١٩٦٧م نشرة ديدالسوس مجلة المجمع الأمريكى للآداب و العلوم : نحو القرن العشرين العمل فى تقدم ، يقدم مقالات مختلفة من البشريات و العلوم ، و يكشف عن الورطة الحديثة و المشاهد المستقبلة للمجتمع الغربى و على العكس من جاكقويس ماريتين ، رينهولد ينبوور ، كارل مانهيم ، آرنولد توئينبى ، جاكقويس إلول يقدم جارليس فرينكل نظرة أكثر تفاؤلا فى كتابه ، القضية للرجل الحديث ، مطبعة بوستون بيكون ١٩٧١م (١٩٥٥م) ، و إن تحليلا جذريا (يساريا غربياً) و نتيجة تفاؤلية اقترحت فى نورمان برن بوم ، وراء الأزمة ، نيو يورك مطبعة أوكسفورد ١٩٧٧ .

هذا الاستعراض للنموذج الاشتراكى لهذا النظام الزراعى الاقتصادى ، و ما صاحبه من مظاهر مشاركة النساء على قدم المساواة مع الرجال ، فى مجتمع ما قبل التصنيع ، ليس دليلا كافياً عن مدى نجاح أو فشل المساواة بين الجنسين من الناحية الاقتصادية ، ويتعين ، علينا — حتى نستطيع أن نحكم ما يدعيه الغرب من إتاحته الفرص المتكافئة للعمل فى إطار الاقتصاد الرأسمالى — أن نتطرق إلى استعراض بعض المهن الأخرى التى يتمثل فيها دور النساء سواء كبر أم صغر عن الدور الذى يسهم به الرجل بشكل تقليدى ، و قد يساعدنا فى ذلك أن نتطرق فى دراستنا إلى بضعة مجالات غير تقليدية ، مثل مجال الجيش ، فى محاولة منا لتفهم دور النساء و عملهن ضمن المهنيين فيه .

و فيما يلى سنحاول أن نستعرض الأوضاع فى ميدان التعليم و الخدمات العسكرية باعتبارهما مجالين مهنيين من المجتمع الرأسمالى الغربى ، و نعنى بذلك الولايات المتحدة الأمريكية .

المرأة و التنمية الاقتصادية فى الحضارة الرأسمالية الغربية :

حتى يمكن دفع عملية النمو الاقتصادى إلى أقصى مدى لها فى أى زمان و مكان ، يتعين التخطيط بصورة دقيقة و سليمة للقوى الاقتصادية و البشرية ، و يعتمد هذا الرأى على إدراك حقيقة معينة و هى أن النمو الاقتصادى و التنمية يعتمدان بصورة وثيقة على توافر القوى البشرية المدربة ، و لكن هناك متطلبات أساسية أخرى لازمة للوصول بالناتج الاقتصادى إلى أقصى مداه ، فأولا علينا ان نتعرف على الوضع التعليمى للقوى العاملة التى تشارك فى هذا الانتاج ، علينا ثانياً أن نلم إلماماً واضحاً بالاحتياجات التقنية و الخبرات و المهارات اللازمة لأى نشاط أو مشروع اقتصادى ، وعلينا ثالثاً أن نقدر ما يتوقع حدوثه من تغيرات

تقنية فى المستقبل القريب إلى جانب التعرف على الاتجاهات السكانية فى الدولة ، كما يجب أخيراً على أقل تقدير أن نعرف إلى أى مدى سوف تتفق هذه التغيرات المنتظرة مع الأهداف الوطنية للدولة ، و هذا أمر بالغ الأهمية .

و لا جدال فى تلك الحقيقة الماثلة فى أن التنمية الاقتصادية لن تكون مجدية ما لم تتفق مع الأهداف الوطنية للدولة ، و فيما يتعلق بباكستان ، هناك نقاط ثلاث يتعين الالمام بها .

أولا : أننا دولة إسلامية فى مفهومها العقدى ومن ثم ينبغى ألا تختلط رؤيتنا للمستقبل الاقتصادى بالمفاهيم الخاصة بالمجتمع الغربى العلمانى الذى تقيم فيه القيمة (المكانة) الاقتصادية للمرأة اعتماداً على ساعات العمل التى تؤديها و الحصيلة الاقتصادية لذلك ، إن اختلاط المفاهيم الاسلامية و المفاهيم الغربية الدنيوية تجاه المجتمع من شأنها أن تؤدى إلى دفع النساء إلى القطاع الانتاجى الاقتصادى دون أن تأخذ فى الاعتبار التعاليم الاجتماعية الاسلامية ، و حيث يحرم الاسلام الاختلاط بين الجنسين ، أو أن تعمل النساء جنبا إلى جنب مع الرجال فى مكان واحد ، فحتى نستطيع أن ننفذ الأهداف القومية فى أى بلد إسلامى أو فى أى مشروع من المشروعات الاقتصادية ، يتعين أن توضح الخطط و أن تعد المشاريع الاقتصادية و المرافق اللازمة لتحقيق هذه الأهداف على نحو يتفق و تلك المفاهيم .

ثانياً : إن إجراء دراسة إحصائية للمتوافر حاليا من العمالة من الذكور ، والاحتياجات الفنية المستقبلية ، من شأنه أن يظهر لنا نوعية المهارات المتطلبة مستقبلا ، كما يبين لنا ما إذا كانت النساء المتعلمات تعليما عاليا يستطعن الوفاء بهذه الاحتياجات أم لا .

ثالثاً : يتعين من وجهة النظر الاقتصادية البحتة أن ننظر إلى الاحتياجات بالنسبة للتوقعات المهنية تجاه المرأة المتعلمة المؤهلة تأهيلا عاليا ، ليس فى باكستان وحدها ، بل مبدأ عاما .

المرأة فى العالم الأكاديمى فى الغرب :

أظهرت إحدى الدراسات الحديثة التى أجريت حول النساء فى الولايات المتحدة أن ثمة هبوطا فى معدل التوقعات المستقبلة من ناحية عدد النساء المؤهلات، و قد يرجع ذلك إلى عدة أسباب من بينها عوامل التميز و التوافق الاجتماعى و النفسى، أو محاباة الأقارب فى بعض المؤسسات، و إن كان من الواضح أن التعديل الخاص بالمساواة فى الحقوق ERA لم يستطع أن يوفر — بحكم الواقع — حقوقا للنساء، متساوية مع حقوق الرجل.

و يعد التدريس فى الكليات و الجامعات دائماً مهنة محترمة، و من ثم فانه يعتبر حقلا مناسباً لعمل النساء و تشير الاحصاءات إلى أنه بغض النظر عن تلك النداءات التى تدعو إلى إتاحة الفرص المتكافئة لكلا الجنسين فى تلك المؤسسات، و على الرغم من نظام التعليم المختلط الذى تأخذ به معظم الجامعات فى الولايات المتحدة، فانه من الملاحظ أن النساء لم يستطعن تحقيق مكانة مرموقة فى هذا المجال، ذلك أنه وفقا للمعلومات المتاحة لنا نلحظ انخفاضاً واضحاً فى عدد النساء اللاتى شغلن المراكز الادارية المرموقة فى تلك المؤسسات و ذلك طوال أربع سنوات، خلال الفترة ما بين عام ١٩٦٩ و ١٩٧٠، و عام ١٩٧١ و ١٩٧٢، إذ انخفض عدد النساء اللاتى تولين منصب العمادة من ١١٪ إلى ٣٪، و منصب إدارة التنمية من ٤٪ إلى ٢٫٧٪، كما انخفضت النسبة من ٩٪ إلى ٢٫٧٪ (١) بالنسبة لمن شغلن منصب مدير فرع، أما بالنسبة للمناصب التى دون ذلك فقد

(١) و يتربيتى و بابكو، يلينور « النساء المهنية و الأقليات : خدمة لمنابع القوة البشرية، و اشنطون، لجنة القوة البشرية العلمية ١٩٧٥. جدول الف وف ١٠ و الف وف ١١.

انخفضت النسبة من ١٧٪ فى عام ١٩٧١—١٩٧٢ إلى ١٣٪ عام ١٩٧٤ — ١٩٧٥، و شهدت نسبة النساء العاملات ضمن أعضاء هيئة التدريس بدورها، انخفاضا ملحوظا خلال هذه الفترة، فبعد أن بلغت ٤٤٪ فى عام ١٩٧١—١٩٧٢ صارت هذه النسبة ٢٧٪ فى سنة ١٩٧٥/٧٤ (١) و هناك دراسة أخرى تبين أن الانخفاض الرئيسى للنساء كان فى المعاهد العامة حيث هبطت نسبتهن من ٤٦٪ سنة ١٩٧٢/١٩٧١ إلى ٢٥٪ سنة ١٩٧٥/١٩٧٤ و من ٣٦٪ إلى ٣٤٪ فى المؤسسات الخاصة (٢).

و واضح من ذلك أن تغيرا ملحوظا قد طرأ على عدد من يشغلن الوظائف الأكاديمية العالية من النساء و الرجال فى هيئات التدريس و خاصة فى الجامعات، و من الملاحظ أن ٦٠٪ من الأساتذة المشاركين و الأساتذة كانوا من الرجال سنة ١٩٧٥—١٩٧٧ فى الوقت الذى لا تزيد فيه نسبة النساء عن ٣٠٪ (٣).

هذا النمط الذى يكشف عن عدم المساواة يتجلى أيضاً فيما تحصل عليه النساء من أعضاء هيئة التدريس من مرتبات، فالمعلومات التى لدينا تشير إلى أن المرأة تعمل فى هيئة التدريس تحصل على راتب يقل عما يحصل عليه زميلها الذى يحمل المؤهلات العلمية ذاتها، ففى عام ١٩٥٩—١٩٦٠ كان معدل ما حصلت عليه النساء من مرتبات فى المعاهد ذات السنوات الأربع هو ٩٫٨٤٪ من متوسط معدل مرتبات الرجال، و بلغت هذه النسبة ٤٫٨٣٪ عام ١٩٦٥ — ١٩٦٦، أما فى عام ١٩٧١—١٩٧٢ فكانت ٥٫٨٢٪ ثم صارت أقل من ذلك فى عام ١٩٧٤—

(١) ويتر و بابكو نفس الجدول الف وف ٧ و الف، وف ٨.

(٢) مغارل جاك « من يكسب وكم يكسب فى أكاديم » تاريخ التعليم العالى فبراير ١٩٧٥، و أيضاً ويتر و بابكو، نفس المصدر.

(٣) ويتر و بابكو نفس المصدر، الجدول الف وف — ٦.

١٩٧٥ ، إذ بلغت ٨ ، ٧٧ ٪ على مستوى الجامعة (١) هذا الانخفاض المستمر برغم كل ما يصدر من نداءات تطالب بتوفير حقوق متساوية للجنسين و بعد قرن من التعليم المختلط ، يحتاج إلى إجراء تحليل دقيق لجذور هذا النظام الاجتماعى الاقتصادى.

و خلال الخمسين سنة الماضية شهد الغرب تغيراً ملحوظاً فى موقف المجتمع تجاه المرأة ، إذا صار النمط التقليدى للحياة هناك يفسح المجال لأسلوب علمانى تقبل فيه مشاركة النساء من حيث المبدأ فى مهن كانت تعد أساساً من المهن التقليدية للرجال مثل التجنيد فى الجيش الأمريكى ، و سوف نرى فيما يأتى ما ترتب على هذا التغير فى أسلوب الحياة ، و إلى أى مدى أدى هذا إلى تحسين صورة المرأة و نظرتها إلى نفسها فى الغرب كما يدعون .

و من خلا لدارستنا لأسباب هذا الانخفاض الملحوظ فى نسبة النساء العاملات فى بعض المهن فى الوقت الذى كان يتوقع لهن النجاح فيها و التمكن مثل الرجل ، نلاحظ وجود علاقة داخلية تربط ما بين نسبة التعليم المختلط فى الكليات و الجامعات فى الولايات المتحدة و بين الانخفاض التدريجى فى فرص العمل المتاحة للنساء فى التعليم العالى .

و فى معرض تشخيص هذه الظاهرة تقول كلسون :

« لقد كان لالغاء كليات البنات أثره السلبي ليس على فرص العمل المهنية

(١) كلسون ماريون « وضع النساء فى التعليم العالى » فى مجلة « سائنس » للنساء فى الثقافة و المجتمع ، الصيف ١٩٧٦ ، المجلد ١ — العدد — ٤ ص / ٩٣٧ ؛ و أيضاً اين . إى . اے مذكرة البحث الرقم ١٩٧٣—٧٤ « وضع هيئة تدريس النساء و الادارة فى معهد التعليم العالى » واشنطون اتحاد التعليم القومى ١٩٧٣ ص/١—٢ ، بركان ، باربارا ، و ميكسفيلد مائيلس « كيف تحلل صحة مرتبات هيئة تدريس النساء فى رحابك » النشرة الأخبارية لاتحاد أساتذة الجامعة الأمريكية ، الرقم ٦١ (الخريف ١٩٧٥) ص/٢٦٢—٦٥ .

المتاحة للنساء فحسب ، بل على تطور تعليم المرأة بصورة عامة (١) .

و تستطرد الكاتبة قائلة : « إنه على عكس كل ما كان يتوقع من نتائج للتعليم المختلط ، فانه لم ينجح فى توفير المناخ الأكاديمى المناسب ولا التنمية المهنية المنطلبة للفتيات » ثم تمضى قائلة : « إن البيئة التعليمية التى تتضمن نماذج للدور المهنى للمرأة و التوقعات الفكرية العالية لجميع الطلبة الدارسين بالجامعات يبدو أنها حاسمة من حيث التجربة التعليمية الجيدة و من حيث فرص العمل المتاحة مستقبلا للطالبات ، و من ذلك يتضح أن البيئة التعليمية المناسبة لتعليم الفتيات هى تلك التى تقدمها كليات البنات (٢) .

و من المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت رائدة فى إدخال أسلوب التعليم المختلط على مستوى الجامعة ، حتى كان عام ١٨٦١ عندما أقيمت كلية فاسار التى كانت تعد كلية للبنات من الطراز الأول ، ولم يكن قد أخذ التعليم العالى شكله المألوف على مستوى الجامعة ، ففى عام ١٨٥٨ و بمجرد أن تأسست كلية براين ماور فى بنسلفانيا أعلنت عن برامج الدراسة لنيل درجة الماجستير و الدكتوراه ، و فى عام ١٨٧٢ كانت جامعة كورنيل هى أولى الجامعات بالساحل الشرقى لأمريكا التى تسمح للبنات بالالتحاق للدراسة بها (٣) .

(١) كلسون ، ماريون « وضع النساء فى التعليم العالى » فى مجلة « سائنس » للنساء فى الثقافة و المجتمع ، الصيف ١٩٧٦ — المجلد ١ — العدد ٤ — ص / ٩٣٦ .

(٢) كيلسون ص / ٩٣٦ .

(٣) ادولف ارك مير « تاريخ التعليم » فى الموسوعة البريطانية ، ماكروبادیا شيكاغو الثالث ، الموسوعة البريطانية ١٩٧٩ المجلد ٦ — ص / ٢٦٦ .

★ أنا أعرف شخصياً عن كارولينا الشمالية التى كنت أدرس بها فى الجامعة فليست بها إلا حوالى أربع كليات بالدرجة الأولى للنساء ولا سيما (١) كلية ★

و على كل ، فان التدهور الحالى فى عدد النساء العاملات فى الوظائف المهنية يبدو أنه يرتبط ارتباطاً مباشراً بما حدث من تدهور فى عدد المؤسسات التعليمية التى تفصل بين الجنسين خلال الفترة ما بين ١٩٦٠—١٩٧٠م فوفقاً لدراسة أجريت فى هذا الشأن تم خلال هـذه الفترة إلغاء ٤٩٪ من الكليات و معاهد التعليم العالى المخصصة للنساء كما تم خلالها أيضاً تحويل ٤٠٪ من هذه المؤسسات إلى معاهد للتعليم المختلط (١) .

و ألحقت هذه « النعمة » أبلغ الضرر بقضية المساواة و العدالة بالنسبة للنساء ، فبسبب الافتقار إلى المناخ الأكاديمى الملائم فى ظل نظام التعليم المختلط القائم حتى فى تلك المجالات التى يكون محك التنافس فيها الموهبة العلمية و ليس القوى الجسدية ، نجد أنه قد حدث تدهور ملحوظ فى نسبة النساء خلال تلك الفترة ١٩٦٩—١٩٧٠ ، ١٩٧١—١٩٧٢ (٢) .

و ذلك هو ما عبرت عنه كلسون تعبيراً صحيحاً عندما قالت :

« إن تدهور كليات البنات قد صاحبه تدهور فى فرص العمالة المتاحة للنساء فى التعليم العالى (٣) .

★ سالم ، ونستون — سالم (٢) كلية قويين ، كارلوت (٣) كلية بينت ، كرينس بو ، و (٤) ساكريديرت كوليج ، بلمونت .

و هناك كليات ممتازة للرجال بما فيها ديويدسون كوليج و ديويدسون اين ، سى .

(١) جودى برتلسون « دراستا النساء فى التعليم العالى » ميميو كراف ، آكلاند ، كاليف ، ميلس كوليج ، ١٩٧٤ ص/٤ .

(٢) لجنة كارنيغى حول التعليم العالى . فرص للنساء فى التعليم العالى : مساهمتهن الحديثة تبشر بالمستقبل و صلاحيتهن للعمل ، نيويورك شركة ايم سى جراو ، هيل بوك ، ١٩٧٣ ص/١١١ رقم الجدول ٧ .

(٣) كيلسون ص/٩٣٦ .

و هناك فى الواقع أسباب أخرى تعضد من هذه القضية الأساسية و تؤيد تلك النتائج ، من بينها الصراع بين الأدوار الشخصية و المهنية فضلا عن وجود نمط سلبى ينظر من خلاله إلى قدرات النساء الثقافية و إمكاناتهن و إنجازاتهن العلمية (١) إن مناخ العمل المتحرر الذى لا يفرق بين الرجل و المرأة و الذى كانت النساء تتطلع للعمل من خلاله و الذى ينادى به أصحاب قضية تحرير المرأة ، قد ثبت أنه يمثل فى الواقع عائقاً فى سبيل تقدم النساء و تحقيق أهدافهن .

و قد أدى ذلك أيضاً إلى العديد من مظاهر الاضطراب التى شابت ظروف عمل المرأة العاملة إذا ما قورنت بالرجل الذى يحمل نفس مؤهلاتها العلميـــة ، فالالتزامات الأسرية قد ضاعفت من مظاهر الاضطراب ، إذ اتضح أن ما بين ٤٠٪ و ٥٠٪ من مشكلات العمل إنما ترجع إلى أسباب أسرية ، كما أصبح يتردد القول بأن النساء العاملات ضمن أعضاء هيئة التدريس فى المؤسسات التعليمية التى تتيح فرصاً متساوية للجنسين ، أقل إنتاجاً من زملائهن من الرجال ، خاصة فى مجالات البحث العلمى ، الأمر الذى انعكس فى صورة الحد من أعضاء هيئات التدريس من النساء (٢) لقد كان فى الاعتماد على الانتاج العلمى و اعتباره معياراً لقياس مدى الكفاءة ، ما أدى إلى الحد من فرص نجاح النساء و تفوقهن على المستوى الفنى (٣) هذا المأزق الذى أوجد فيه الغرب نفسه لا يرجع أساساً إلى

---

(١) جون ، سينترا « النساء و الرجال و الدكتوراة » برنستون اين ، جى خدمة اختيار التعليم ، ١٩٧٤ ص/٤١٦ .

(٢) الان ، اى باير و هالين ايس ، أوستين « مراعو الجنس فى نظام الجائزة الحالى » العلم ١٨٨—مايو ١٩٧٥ — ص / ٧٩٦ .

(٣) جون ابرامسون « المرأة المتحجبة » سان فرانسسكو جوسى — باس ١٩٧٥ ★

مبدأ المساواة أو الفرص العادلة و المتكافئة فى التعليم الفنى المتاح للمرأة فى حد ذاته ، بقدر ما يرجع إلى الحقائق و الأسس التى يقوم عليها هذا التعليم ، إذ صار من الواضح أن تحقيق المساواة و العدالة الاقتصادية للمرأة من خلال التعليم الموحد فى ظل أسلوب التعليم المختلط لم يعطنا النتائج المرجوة ، إن جذور هذه الأزمة لا تتعلق بمثل هذه المبررات و الأمور السطحية التى يدعونها ، بل تمتد إلى تلك الصورة التى ينظر الغرب من خلالها إلى شخصية الانسان و رؤيته لحضارته .

فاذا كانت الأنوثة لدى المرأة تعنى نوعاً معيناً من التصرفات و قدراً من النضوج و الاحساس و أسلوباً خاصاً من التفكير ، كما هو الحال بالنسبة للرجل فان تغيير هذا الدور على هذا النحو لم يستطع أن يحقق لنا النتائج المرجوة ، وكل المعلومات المتاحة لنا — على الأقل — لا تقدم دليلا واحداً يتعارض مع تلك النتائج التى استخلصناها و التى تؤكد أن الخلط بين الأدوار لا يمكن أن يحقق لنا أية نتائج إيجابيـــة فى الحياة سواء على المستوى الأخلاقى أو على المستويات الاجتماعية و الاقتصادية .

و يتعين علينا فى إطار هذه الدراسة أن نتطرق إلى دراسة ظاهرة أخرى من الظواهر المتعلقة بالنموذج الغربى الرأسمالى ، وهى نموذج آخر للخلط بين الأدوار بالنسبة للجنسين تم التوصل إليه من خلال بوتقة الولايات المتحدة بسماحها للنساء بالعمل فى القوات المسلحة الأمريكية .

« يتبع »

★ ص/ ٦٩ ، راجعوا للتفصيل البحوث التالية : « غير موظف » لا لايين هوبكن ص/ ١٤٠ — ١٥١ « المرأة الجاهلة و المثقفة » لريث فيكار ص/ ١٦٠ — ١٦٦ « النساء على أرض الجامعة : التحرير الذى لم ينته » تحقيق الهيئة الادارية لكاجى ، نيوروكل ، مجلة جنيج ، ١٩٧٥ .

قراءة فى كتاب :

المرتضى

تأليف

سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

عرض و قراءة : دكتور حسن الأمرانى

تمتاز كتب سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى بأنها تجمع بين العلم و الأدب ، ففيها دقة فى التحليل و رشاقة فى الأسلوب و سماحة فى التعبير ، تكشف عن حصافة فى النظر و تجمع بين العمق و البساطة جمعاً لا تنافر فيه .

و يوم قرأت عن صدور كتاب « المرتضى » هفوت إلى الاطلاع عليه ، لعلى أنه لا بد فيه من جديد عن حياة الخليفة المرتضى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، و قد زاد من ذلك الحرص أن يصدر الكتاب فى فترة جد فيها الحديث عن الخليفة المظلوم .

و عندما لقيت الشيخ أبا الحسن فى أسطنبول ، بمناسبة انعقاد المؤتمر الخامس لرابطة الأدب الاسلامى العالمية ، صيف عام ١٤١٠—١٩٨٩ ، ذكرت فى نفسى الكتاب ، و هممت أن أفاتح الشيخ فى ذلك لو لا أن الحياء حبسنى عن ذلك ، وما هى إلا فترة حتى جاءنى أحد الأساتذة الأجلاء المرافقين لسماحة الشيخ يقدم إلى كتابا و هو يقول : سماحة الشيخ يهديك هذا الكتاب ، نظرت فاذا هو كتاب « المرتضى » ، و كأنما ألهم الشيخ إهداءه إلى إلهاما ، لم أتمالك نفسى ، وهرعت إلى حجرته مستأذناً ، و دخلت عليه لأشكره بنفسى على هديته القيمة .

قلت إن هذا الكتاب صدر وحياة المرتضى تطفو على السطح من جديد ، و لعله كان للثورة الايرانية يد فى ذلك ، فقد انبرى للكتابة فى الموضوع علماء

من السنة و من الشيعة على السواء ، و آخر ما حمل إلى البريد هذا الشهر كتاب العالم الحاج حسين الشاكرى : على فى الكتاب و السنة .

و قد رأيت بعض مشابه فى الدوافع التى حملت هذين العالمين الجليلين — الشيخ أبا الحسن الندوى و الحاج الحسين الشاكرى — إلى تناول الموضوع من جديد ، على كثرة ما ألف فيه قديماً و حديثاً ، من ذلك أن كلا الرجلين يشعر بضرورة الكتابة فى الموضوع و خطورته فى الوقت ذاته و كلاهما يسعى إلى رفع ظلم نازل بالخليفة المرتضى رضى الله عنه ، فالشيخ الندوى يؤلف كتابه لأن شخصية سيدنا على بن أبى طالب « مظلومة و مهضوم حقها » و لأنها شخصية « تراكمت عليها حجب كثيفة على مدى القرون والأجيال لأسباب مذهبية طائفية و نفسية ، الخ . . » ص ٦ ، و الحاج حسين الشاكرى يهدى كتابه « إلى أول مظلوم فى الاسلام . . أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام » ص ٥ ، و كلا العالمين يستند إلى مصادر معتمدة عند السنة و الشيعة على السواء ، و إن كان الرجلان يختلفان من بعد بعض الاختلاف منهجاً و مقصداً .

لعل الشيخ أبا الحسن الندوى خير من يؤلف فى هذا الموضوع ، لأسباب ذاتية وموضوعية ، فأما الأسباب الذاتية فلأنه من الشجرة الزكية نسباً ، إذ ينتهى نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب ، ثم هو من المتعلقين بحب صحابة رسول الله ﷺ جميعاً حباً أكده و جلاه كتابه « المرتضى » و وسمه بالانصاف ، و أما الأسباب الموضوعية فمرجعها إلى أن الشيخ الندوى يعتبر نفسه تلميذاً للتاريخ ، والحق أنه تلميذ نجيب للتاريخ ، فهو يرى أن « التاريخ أنقاض بناية شامخة أوقصر مشيد » ص ٧ و لا بد للمؤرخ من أن يتسلح بالحذر فيما يأخذ و يدع ، و إذا كان الناس « فطروا على حب السهولة » ص ٧ فان المؤلف آثر المركب الوعر ، فهو لا يكتفى بمجهود من تقدمه من المؤلفين بل ينخل كل ذلك نخلا ، ويتقصى

الحق من أجل إقامة بناء جديد ، بناء يجعل القارئ يردد مع أبى تمام « كم ترك الأول للآخر » .

لقد أدرك المؤلف صعوبة التأليف فى هذا الموضوع و تهيبه تهيباً ما تهيبه لموضوع آخر « لأن فيه مواقف و بحوثا هى أحد من الشفرة ، و أدق من الشعرة ، لا يمر بها المؤلف سليما إلا إذا اتسع صدره وقوى صبره واتزن فكره و بالأصح إذا حالفه التوفيق الالهى » ص ٩ ، و لذلك لم يقدم على هذا الأمر على الرغم من أنه كان عنده هما منذ أشار به عليه منذ وقت طويل أخوه السيد عبد العلى الحسنى ، فلم يبدأ المؤلف فى إملاء الكتاب إلا فى ١١ رجب سنة ١٤٠٨ (١ مارس ١٩٨٨) لينتهى منه بتوفيق من الله فى ١٤ شوال سنة ١٤٠٨ (٣١ مايو ١٩٨٨) .

يضم الكتاب سيرة مفصلة لسيدنا على رضى الله عنه ومع ذلك فهو ليس وقفاً على ذلك ، إذ سلط المؤلف أضواء على جوانب من خلافة كل من أبى بكر و عمر و عثمان ، و ضم لمحة من سيرة معاوية ، بالاضافة إلى جانب من سيرة سيدى شباب أهل الجنة : الحسن والحسين ، و سادة آل البيت و أولاد على .

و هكذا جاء الكتاب و قد تضمن عشرة فصول معنونة كالتالى :

الفصل الأول : على بن أبى طالب فى مكة (من الأسرة والولادة إلى الهجرة) .

الفصل الثانى : على فى المدينة ، من الهجرة إلى وفاة الرسول ﷺ .

الفصل الثالث : سيدنا على فى خلافة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه .

الفصل الرابع : سيدنا على فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه .

الفصل الخامس : سيدنا على فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه .

الفصل السادس : سيدنا على فى خلافته .

الفصل السابع : سيدنا على إزاء الخوارج و أهل الشام ، إلى شهادته .

الفصل الثامن : سيدنا على بعد الخلافة .

الفصل التاسع : سيدا شباب أهل الجنة الحسن و الحسين رضى الله عنهما .

الفصل العاشر : سادة آل البيت و أولاد على .

و فى هذا الفصل الأخير عرض و مناقشة لعقيدة الامامة عند الشيعة .

منهج الكتاب :

يتميز هذا الكتاب بمنهج خاص أعرب المؤلف عن بعضه فى مقدمة الكتاب ، و ظهر بعضه مطبقاً فى فصول الكتاب .

لقد ألزم الكاتب نفسه مبدأين :

١— اعتماد الكتب القديمة الموثوق بها ، المتلقاة بالقبول فقط .

٢— الاحالة فى النقل إلى اسم الكتاب بقيد الجزء و رقم الصفحة واسم المطبعة .

و لما كان موضوع الكتاب شديد الحساسية ، محفوفا بالمخاطر و لا سيما فى بعض العقائد الخلافية بين أهل السنة و إخوتهم من الشيعة ، اعتمد المؤلف كتب الطائفتين معاً ، درءاً لأن يرمى بالتعصب ، و لا سيما حين يتعلق الأمر برد بعض الشبهات ، فعن مولد سيدنا على رضى الله عنه ، يورد المؤلف نصاً من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد الشيعى المعتزلى ، قال ابن أبى الحديد : « اختلف فى مولد الامام على عليه السلام أين كان ؟ فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد فى الكعبة ، و المحدثون لا يعترفون بذلك ، و يزعمون أن المولود فى الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى » شرح نهج البلاغة : ج ١ ، ص ١٤ .

و كذلك خبر أبى سفيان مع على و العباس ، و هو خبر يدل على أن علياً و العباس رضى الله عنهما كانا يريان صحة بيعة أبى بكر رضى الله عنه ، قال

المؤلف : جاء فى شرح ابن أبى الحديد لنهج البلاغة ، قال : « لما طلب أبو سفيان من على أن يسمح له بالبيعة له ، قال على : إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه ، وقد عهد إلى رسول الله ﷺ عهداً فأنا عليه ، فتركه أبو سفيان و عدل إلى العباس ابن عبد المطلب فى منزله فقال : يا أبا الفضل أنت أحق بميراث ابن أخيك ، أمدد يدك لأبايعك ، فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتى إياك ، فضحك العباس و قال : يا أبا سفيان يدفعها على و يطلبها العباس ؟ فرجع أبو سفيان خائباً » ج ٦ ، ص ١٨ .

و من علماء الشيعة الذين يرجع إليهم المؤلف أيضاً القاضى نور الله الشوسترى ، و أبو القاسم القمى ، و كلاهما معتمد لدى الشيعة ، و من علماء الشيعة المعاصرين الذين يرجع إليهم و يثنى عليهم : السيد أمير على ، كما يرجع المؤلف إلى كتب الحديث المعتمدة ، كصحيح الامام مسلم ، « و الذى يرويه مسلم بسنده أولى بالاعتماد و الترجيح » .

و لا يورد المؤلف الخبر دون تمحيص ، و ربما خالف فى بعض الأخبار بعض العلماء كهذا الحديث ، جاء فى مصنف ابن أبى شيبة بسنده عن ليث ، قال : دخلت على أبى جعفر فذكر ذنوبه و ما يخاف ، قال : فبكى ، ثم قال : حدثنى جابر أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون ففتحوها ، و أنه جرب فلم يحمله إلا أربعون رجلا .

و ذكر محمد بن أبى إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبى رافع أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه ، فتناول بابا عند الحصن ، فتترس به ، فلم يزل فى يده حتى فتح الله على يديه ، ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فقد رأيتنى و أنا و سبعة معى نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع ، وقال ليث عن أبى جعفر عن جابر فلم يحملوه إلا أربعون رجلا .

قال المؤلف : « ضعف ابن كثير حمل باب خيبر ، وقال : فى هذا الخبر جهالة و انقطاع ظاهر ، و ضعف رواية أبى جعفر الباقر عن جابر كذلك ، (البداية و النهاية : ج ٤ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠) أقول و قد رويت هذه القصة من طرق عديدة ، و هى قصة مشهورة و لا يستبعد وقوعها - إن صح ثبوتها و كان لها أصل - فمن عقائد أهل السنة أن كرامات الأولياء حق ، و لها أصل فى القرآن ، فقد جاء : [كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب] (سورة آل عمران) قال المؤلف : و سيدنا على كرم الله وجهه من سادة الأولياء و مقدمتهم » ص ٥٧ .

فهذا دال على استقلالية فى الرأى و على أن المؤلف يشهد بولاية على كرم الله وجهه ، و لكن هذا لا يمنعه من إبطال عقائد الغالين ، بل هو نفسه الذى يدفعه إلى إبطال تلك العقائد ، و منها عقيدة الامامة و العصمة ، و بالاضافة إلى بعض الأمور التى تحتل درجة أدنى كالموقف من الصحابة .

فعن أبى بكر رضى الله عنه يورد المؤلف ما يلى : « يقول صاحب (منهاج الكرامة فى معرفة الامامة) العالم الشيعى ابن المطهر الحلى [إنه لا فضل له (يعنى لأبى بكر) فى الغار لجواز أن يستصحبه حذراً منه لئلا يفشى سره] و قد روى أنه ذكر ذلك لولى نعمته الملك التتارى أوليجا خدا بنده خان ، الذى صنف له هذا الكتاب فقال ما فحواه : « إنه لا يفعله عاقل » ص ٧١ .

و فى نفس السياق يستشهد على صحة بيعة أبى بكر بقول ابن أبى الحديد : « اتفق شيوخنا المتقدمون و المتأخرون ، و البصريون و البغداديون ، على أن بيعة أبى بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية ، و أنها لم تكن عن نص ، و إنما كانت بالاختيار الذى ثبت بالاجماع كونه طريقاً إلى الامامة ، ج ١ ص ٧ ، ص ٩١ .

و ليس معنى ذلك أن المؤلف ينزه الصحابة عن الخطأ ، بل يذكر بعض أخطائهم فى شجاعة نادرة ، ولكن فى أدب جم كذلك ، فقد أورد خبر حاطب ابن أبى بلتعة ، يوم تأهب رسول الله ﷺ للتوجه إلى فتح مكة فى رمضان سنة ثمان من الهجرة ، « و أراد حاطب بن أبى بلتعة ، و هو ممن هاجر من مكة و شهد بدراً ، و كان امرءاً ملصقاً فى قريش ليس من أنفسهم ، و له فيهم أهل و عشير و ولد ، و ليس فيهم قرابة يحمونهم ، فأحب إذ فاتة ذلك أن يتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابته فكتب كتاباً يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم ، و أعطاه امرأة ، و جعل لها جعلا على أن تبلغه قريشاً — و كان تصرفا خاطئاً غفر الله له — و قد قال رسول الله ﷺ فيه كلمة خير ، و قال : لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ص ٥٨ .

فقرة مختارة :

و بعد ، فهناك لحظة تاريخية حرجة جداً ، شهدت أمراً من أشد أمور المسلمين تعقيداً ، و تتصل بمعالجة موضوع انتقال الأمر من خلافة راشدة على منهج النبوة إلى ملك عضوض ، و هى لحظة تاريخية طالما زلت فيها الأقدام ، و فلت الأقلام ، و قد عالجها أبو الحسن الندوى كعادته بحزم و حكمة و صدق و شجاعة ، و فى ذلك يقول : « يبدو لى — بعد استعراض الواقع التاريخى و الفترة الغامضة المعقدة التى تلت شهادة سيدنا عثمان رضى الله عنه ، و ما طرأ على المجتمع الاسلامى من تطورات و ردود فعل نفسية و خارجية — أن سيدنا معاوية أدته معرفته لطبائع الناس ، و ممارسته للحكم ، و دراسة واقع البلاد التى حكمها مدة طويلة ، إلى أنه من الصعب قيادة المجتمع الاسلامى العربى الموجود ، وسياسة المملكة الاسلامية الواسعة — التى تنوعت عناصرها و تعددت مشاكلها — باتباع نظام الخلافة الدقيق . . و قد أنبأ بذلك رسول الله ﷺ فقال : (خلافة

النبوة ثلاثون سنة ، ثم يعطى الله الملك ، أو ملكه من يشاء) و لا شك أنه كان ذلك اجتهاداً منه مجانباً لما ثبت و استفاض من الحث على إقامة الخلافة على منهاج النبوة ، وإن المسلمين مأمورون بذلك فى كل زمان ، و لما فهمه السابقون فى الاسلام ، الراسخون فى العلم ، الأقربون إلى رسول الله ﷺ الحريصون على الاقتداء به و تنفيذ ما أراده ودعا إليه ، كأبى بكر و عمر و عثمان و على رضى الله عنهم والعشرة المبشرين بالجنة ، و كبار الصحابة و فقهائهم و هو الذى سيبقى الهدف المطلوب و المثل الكامل الذى يجب أن يحققه المسلمون ، أو يسعون له ، مهما تباعد الزمان و اختلف المكان ، و كان الحق فى ذلك مع على كما اتفق عليه أهل السنة و الجماعة » ص ٢٣٧—٢٣٩ .

ثم قال بعد ذلك : « و قد قال معاوية بنفسه : لست بخليفة و لكنى أول ملوك الاسلام ، و ستجربون الملوك بعدى . .

و كان يعلم بعض مقاصد الخلافة و لكنه لم يستطع أن يحققها و يعمل بها لتغير الزمان و أهله » ص ١٤٢ .

« و كان هذا المجتمع الاسلامى — على علاته — أفضل بالاطلاق من كل مجتمع معاصر — مسيحى أو مجوسى أو برهمى — فى الخشوع لله والحسبان للآخرة و لما بعد الموت ، و الكف عن الفواحش الظاهرة و مظاهر الفجور ، وعبادة المادة والتقدير الزائد للثروة ، و وزن الأشياء بميزان النفع واللذة فحسب ، و ذلك كله بفضل وجود الكتاب الذى لم يقبل تحريفاً أو ضياعا ، و بفضل ما كان يروى و يردد من أخبار الأسوة النبوية و سير الصحابة و أخبار الخلفاء الراشدين ، والشهداء و المجاهدين ، و وجود الدعاة إلى الله و الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر ، و وجود الزهاد و المتورعين ، و كان الدين لا يزال له السلطان الروحى و المكانة الأولى فى قلوب الناس » ص ٢٤٣ .

باكثير فى ملحمة عمر

—(الفصل الثالث)—

الدراسة الفنية

السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى

ب — الحبكة (السياق أو تسلسل الأحداث) :

وتصل بنا دراستنا إلى تسلسل الأحداث عند باكثير ، فنجد أن ملحمته الواسعة الشاسعة لا يمكن حصرها فى نطاق واحد ، فهى ممتدة فى زمانها ، رحبة فى مكانها ، متعددة الألوان فى أشخاصها .

ولكننا نلمح بوضوح الترابط و التجانس فى الأجزاء التى تشتمل على الأحداث الأساسية الكبرى كالمعارك الحاسمة التى قصمت ظهر الروم و الفرس ، و رفعت راية الاسلام عالية ، فاننا لنرى تلك الأجزاء بمشاهدها المتعددة ، و كأنها قصة متسلسلة مترابطة ، جيدة السبك حسنة التنميق تساب أحداثها يكمل بعضها بعضا دون رقابة أو قلق فى الأسلوب ، و تكلف فى التعبير ، فتجئ كلا مجتمعاً لا فجوة فيه ولا انقطاع .

و خير مثال على ذلك ، ما ضمنته الأجزاء الثانى و الرابع و السابع . . .

ففى الجزء الرابع « أبطال اليرموك » حيث نرى استعداد المسلمين و تخطيطهم للمعركة وهم قرب نهر اليرموك ، ثم نرى التل المرتفع و عليه النسوة المجاهدات ، و فى المشهد الثالث يوزع خالد امراء الكراديس ، و يذهب بنفسه للاطلاع على المكان من جميع نواحيه ، حيث يحضر رسول الروم جرجة حاملا رسالة للمسلمين من قائده باهان ، ولكن نور الله شرق فى قلبه فيسلم و ينضم إلى جبهة المسلمين ، ثم يعود إلى معسكر الروم ليوقع بينهم الخلاف ، متظاهرا بأنه مخلص لهم ، و يكون المشهد الأخير فى وصف المعركة من بدايتها إلى نهايتها .

فلو أننا فصلنا هذا الجزء عن بقية الملحمة لصلح قصة قائمة بذاتها . . و ينقلنا باكثير فى المشهد الأول من الجزء الخامس إلى بيت عمر (رضى الله عنه) فى المدينة المنورة ، ليصور لنا قلقه و تلهفه إلى سماع أخبار المسلمين فى اليرموك . . و لعله أراد بذلك أن يتمم الصورة . . و لكنه لا يلبث أن ينقلنا فى المشهد الثانى إلى القصر الملكى بأنطاكية . . . و تتسلسل المشاهد و يعود بنا إلى دار الضيافة بالمدينة المنورة . . . ثم يرحل بنا إلى شراف حيث نزل سعد بن أبى وقاص بجيشه مع جيش المثنى . . . و نرجع أدراجنا إلى بيت عمر بالمدينة لنستقبل مع المستقبلين الأمير الغسانى جبلة بن الأيهم و رجاله يعلنون إسلامهم . . . و نقفز قفزتين إلى هرقل بقصره فى هيريا إثر قدومه من أنطاكية . . . ثم إلى أيوان كسرى بالمدائن حين حمل يزدجرد وقر التراب لعاصم بن عمرو الليثى الكنانى الذى حمله بدوره إلى عمر فى مكة بعد انتهاء شعائر الحج . . .

و هكذا ينقلنا باكثير أميالا طوالا فى كل مشهد و يطلعنا على مواضيع مختلفة و أشخاص متعددة و قد تظهر لنا خلال ذلك فجوات كبيرة لا يتقبلها الذوق الفنى العابر المألوف فى المسرحيات . . .

و لكن له من ذلك على ما يبدو لنا مرمى أبعد فى الفنية يتلاءم مع حجم ملحمته ، وهو تنويع الصور على القارىء ليبقى متعلقا بالأحداث و بالتالى لتكون الصورة التاريخية لديه كاملة من جميع جوانبها فضلا عن أن ذلك قد يجعل للقارىء فترات هادئة يستريح فيها من جو المعارك الصاخبة . .

٧— الحوار :

الحوار هو اللبنة الأولى التى تقوم عليها الملحمة ، و على مدى التوفيق فيه يتوقف نجاحها أو إخفاقها ، لما يضطلع به من مهام فعلية ، أولا : يعتمد فى رسم الشخصيات ، وهو يسهم ثانيا : فى دفع الحوادث ، كما يسهم فى الصراع العام ،

و يحقق الترابط فى السياق ، و يسهم فى نجاح الحبكة فلنر هل وفق باكثير فى حواره فأدى هذه الأغراض كلها ؟ .

مما لا شك فيه أن حرص على أحمد باكثير الشديد على إبراز دقائق الأحداث الاسلامية فى تلك الحقيقة أكسب حواره شيئاً من وقار التاريخ و أبعده عن حرارة المسرحية أحيانا حتى لنكاد نشعر أحياناً أن المعلومات محشورة فى ثنايا الكلام . .

ففى المشهد التاسع من الجزء الخامس عشر ، نرى عمر يأكل مع معاوية بن خديج ، و يدور بينهما هذا الحوار :

عمر : إنى استأثرت بك لأستوضحك بعض ما ألقيته على الناس فى خطبتك ، كل أولا يا معاوية . .

معاوية : الحمد الله قد أكلت يا أمير المؤمنين .

عمر : كل من التمر (ينادى) عاتكة ؟

عاتكة : (تظهر على الباب) نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : هل شهدت صلاة جامعة ؟ .

عاتكة : نعم .

عمر : و سمعت الخطبة التى ألقاها بشير الفتح ؟ .

عاتكة : نعم .

عمر : ولم تعجبى مما قال فى وصف الاسكندرية ؟ .

عاتكة : بلى ، عجبت كما عجب الناس .

عمر : ولم يخامرك شك ؟ .

عاتكة : يا أمير المؤمنين قد سمعنا كثيراً من العجائب فى تلك البلاد حتى ألفنا سماعها بل رأينا منها ما لم يكن يخطر لنا على بال .

عمر : لكنى أظنك يا معاوية قد غاليت ولم تقتصد .

معاوية : لا و الله يا أمير المؤمنين ما غاليت فى شئ ، بل كل ما وصفت دون بعض ما شهدت .

عمر : كنت تقول أربعمائة ملهى للملوك .

معاوية : أجل يا أمير المؤمنين ، وقد رأيتها بعينى هاتين كأنها مما بنته الجن .

عمر : و أربعمائة بنية بأربعمائة حمام ؟ .

معاوية : يا أمير المؤمنين ما إخالنى قلت ذلك .

عمر : فماذا قلت ؟ .

معاوية : أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام .

عمر : كل حمام منها يسع ألف مجلس، وكل مجلس منها يسع جماعة نفر ؟ .

معاوية : لا يا أمير المؤمنين إنما تلك الحمامات الكبرى و عددها اثنا عشر فقط . .

عمر : و أربعون ألف يهودى عليهم الجزية ؟ .

معاوية : نعم .

عمر : و اثنا عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر ؟ .

معاوية : نعم .

و يسترسل حتى نهاية المشهد على هذه الشاكلة . . . و يتبين لنا أنه ينطق الأشخاص و يرغمها على سرد الحوادث بحذافيرها ، وليس هـذا فى الواقع لمجرد السرد ، بل يتضمن مقاصد سامية أخرى كابراز تحرى عمر لدقائق الأحوال و الأقوال ، ولكنه مع ذلك قد يضفى على الجو نوعا من الجمود و على الأشخاص شيئاً من الآلية . .

وليس معنى هذا أن حوار الملحمة كله يدور على هذه الشاكلة ، فهى مملوة بمقاطع تفيض حيوية و أثارة رغم تناولها أحداث التاريخ ، و لنأخذ ذلك مثلا تظهر فيه حركية الحوار : فهذا عمر (رضى الله عنه) فى المشهد الأول من الجزء

الخامس ، قد عظم قلقه ، وشغل أمر المسلمين باله فترك تهجده ليوقظ زوجته للصلاة .

عمر : (ينادى) عاتكة ؟ عاتكة ؟ .

عاتكة : (صوت من الداخل) نعم .

عمر : ما خطبك الليلة ؟ إلى متى أوقظك ؟ .

عاتكة : قد نهضت من فراشى و أنا أتوضأ الساعة .

عمر : أتقضين الليل كله فى الوضوء ؟ .

عاتكة : (تدخل) الليل كله ؟ إنى ما أسرعت كالليلة فى وضوئى قط .

عمر : ويحك ، أتقولين الحق أم تعتذرين ؟ .

عاتكة : أعتذر ؟ من أى شئ أعتذر ؟ ما خطبك يا بن عم ؟ .

عمر : خيل لى أنك تباطأت .

عاتكة : لعلك تباطأت أنت فى إيقاظى ، أو شغلتك الصلاة فأنسيت أن توقظنى من أول التهجد . .

عمر : (يتنحى عن موقفه من القبلة) هلمى إذن فصلى أنت .

عاتكة : و أنت ؟ .

عمر : (يأخذ رداءه) أنا خارج .

عاتكة : انتهيت من صلاتك ؟ .

عمر : ما إخالنى أكملت نصفها أو ثلثها بعد ، و الله ما أدرى كم صليت .

عاتكة : ما خطبك الليلة يا أمير المؤمنين ؟ .

عمر : لا أدرى يا عاتكة ، لا أستطيع أن أصلى ولا أستطيع أن أرقد ، و إنى لافتتح السورة فما أدرى فى أولها أنا أو فى آخرها .

عاتكة : هذا من همك بالمسلمين فى الشام ، و إن هماً شغلك عن الصلاة يا عمر لهم كبير . . .

عمر : ليتنى استطعت أن أنفهم بشئ . . إذن لما باليت . .

هذا يصور لنا الحالة النفسية التى يعيشها عمر بن الخطاب بشكل يفيض حيوية و صدقا و انفعالا . . .

و إذا ما تساءلنا عن مادة الحوار و شخصياته ؟ نجد بجلاء أن المصادر التاريخية كانت هى المادة الأولية فى رسم الشخصيات و فى الحوار معا ، فعلى أحمد باكثير لا يقدم لنا شخصيات مبتكرة ، ولا مادة فى الحوار جديدة ، و إنما يصوغ ما هو كائن فعلا ، و متبلور قبلا ، بحوار سائغ يعرض علينا من خلاله فترة زمانية بأحداثها و أفكارها و أفرادها . . وهنا يكمن سر إبداعه الفنى ، فلو كان حرا فى صياغة قصته و ابتداع أشخاصه لا نفسح أمامه مجال الخيال ، و اتسعت رقعة حرية الاختيار .

و هكذا فان واقعية الحوادث تملى على حواره حتميات ، و تجعل دوره محدوداً ، لأنه يسير فى طريق مرسومة له ، لا يمكنه الخروج عنها ، و خاصة فيما يتعلق بالأحداث الاسلامية التى لا مجال لتحويرها . . أما عند ما ينفتح مجال الأحداث التاريخية على سبحات الخيال فنجد الأثر الفنى لباكثير أوضح و أعمق كما يظهر لنا من قصتى شيرين الفارسية ، و أرمانوة المصرية . .

و إسهام حوار الملحمة فى الصراع العام متفاوت الأبعاد ، فنراه ظاهراً حيناً ، و خفيا حينا آخر . . فما أقوى إسهامه حين يصور لنا ما يجرى خلال فتح الاسكندرية من مشاعر و أحداث ، فهذا عمرو بن العاص قائد الجيش تصطرع فى نفسه المشاعر ، و قد استعصى عليه فتح الاسكندرية فاستبطأ أمير المؤمنين و أصحابه الذين حضروا الحرب ، و وجهت إليه سهام الملامة وشتى التساؤلات : لنتأمل هذه اللوحة الحوارية الحية :

رومانوس : معذرة يا أمير الجيش ، فماذا حجبك اليوم عن الناس ؟ .

عمرو : ضقت بهم ذرعاً يا أبا الروم فأردت أن أخلو إلى نفسى .

رومانوس : بلغنى أن بك وعكة .

عمرو : وعكة النفس يا أبا الروم لا وعكة الجسم .

رومانوس : من جراء كتاب أمير المؤمنين الذى ورد إليك اليوم ؟ .

عمرو : و من هؤلاء الذين عندنا من أصحابه .

رومانوس : لأنهم صدقوا ما فى كتاب أمير المؤمنين ؟ .

عمرو : أجل إنهم لا يرون أبعد مما تحت أنوفهم ، و إن أمير المؤمنين ليقول عنهم مع ذلك أن أحدهم يعدل ألف رجل .

رومانوس : فى الصبر و النية و الايمان .

عمرو : الحرب تحتاج إلى أكثر من ذلك .

رومانوس : فليقم غيرهم باكمال ذلك .

عمرو : هذا ما كان ينبغى أن يكون ، فهل كان ؟ إنهم ما كادوا يسمعون ما كتبه أمير المؤمنين حتى صدقوا ما جاء فيه و كذبوا ما تراه أعينهم . . .

رومانوس : لقد رأيت من هذا الرجل أمراً عجباً ، كان يحد خالد بن الوليد مندفعا منصلتا انصلات السيف فيحاول أن ينهنهه حتى قلنا ألا يريد أمير المؤمنين أن يفتح الله البلاد للمسلمين ؟ و أراه اليوم يحرضك على المناجزة و المسارعة إذ وجدك مكيثا حتى أقول فى نفسى : ماذا يريد أمير المؤمنين ؟ أيريد أن يفتح الدنيا فى يوم وليلة ؟ .

عمرو : و الله لقد ضاق صدرى من إلحاحه على فى أمر ليس عنده فيه برهان ، و الله لقد هممت اليوم أن أغامر بأرواح المسلمين و ألقى بهم إلى الهلكة . . .

على أن حوار باكثير لا ينبض دائماً بالعواطف الجياشة حتى فى انفساح المناسبة و اقتضاء الظرف ، فتضعف إذ ذاك دفقته الفنية ، نرى ذلك مثلا عندما تتحاور ارمانوسة مع يونس المتيم بها لتعلن موافقتها على الزواج به ، وهى التى كانت تحب ابن خالتها شطا ثم أعرضت عن زواجه لاعتناقه الاسلام :

أرمانوسة : مرحبا بك يا يونس ، اجلس .

يونس : أرسلتم فى طلبى ؟ .

أرمانوسة : نعم الحمد الله إذ وجدناك .

يونس : أينما تطلبونى تجدونى .

أرمانوسة : لقد خشيت أن تكون ذهبت فى جيش تنيس .

يونس : وددت و الله لو كنت فيهم .

أرمانوسة : فما منعك ؟ .

يونس : استبقانى الأمير هنا فى المدينة .

أرمانوسة : هل ساءك ذلك ؟ .

يونس : فى أول الأمر .

أرمانوسة : و الآن ؟ .

يونس : أدركت أن قد خير لى فى المقام .

أرمانوسة : أتذكر يا يونس إذا التقينا أول مرة ؟ .

يونس : نعم عند البطريق صفر و نبيوس بيت المقدس عند الضحى فى اليوم الثانى عشر من شهر ديسمبر سنة ٦٣٨ .

أرمانوسة : إنك لتذكره بتفاصيله .

يونس : ذاك يوم لا ينسى أبداً يا أرمانوسة .

أرمانوسة : و دعوتنى يومئذ بيودوقيا .

يونس : كان أجمل اسم عندى قبل أن أعرف اسمك . . . .

« يتبع »

بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨

الجيلانى فى الجزء الأول من كتابى « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » ، و إلى المستمعين الكرام هذه السطور المنقولة من الكتاب :

« و يجب أن يكون هذا الداعى صاحب بيان و لسان ، يخاطب العلماء و المثقفين فى أسلوبهم و العامة فى أسلوبها ، و يجب أن يكون صاحب نفس زكية ، و همة قوية مؤثرة ، و على جانب عظيم من الزهد و القناعة و العزوف عن الشهوات وكبر النفس ، يجد ضعاف الايمان و ضعاف النفوس فى مجالسه قوة اليقين ، و حرارة الايمان ، و يجد أهل الشك و الارتياب السكينة و الاذعان ، و يجد أصحاب النفوس القلقة و القلوب الجريحة المنكسرة الهدوء ، و العزاء و السلوان ، و يجد هواة الحقائق و المعارف و أصحاب الدراسات العلوم الدقيقة و النكت اللطيفة ، و يجد أصحاب البطالة و العطلة و أصحاب القلوب الخامدة ما يملؤهم حماسة و إيمانا ، وما يحفزهم إلى العمل و الجهاد ، و يجد عباد اللذات و الشهوات و المترفون فى الحياة الذين تجرأوا على المعاصى و المحارم ما يبعث فيهم الاقلاع و الندامة و التوبة و الانابة ، و بالجملة يجد كل أحد فى مجالسه غناءه و دواءه و غذاءه و شفاءه ، و يقف كمنارة عالية من الايمان و العلم فى بحر من الظلمات و الجاهلية ، يأوى إليها الغرقى و يهتدى بها الحائرون ، و يخلف الأنبياء فى دعاء الخلق إلى الله ، و دعوة الناس إلى دار السلام و إخراجهم من الظلمات إلى النور ، و يخلف الأنبياء فى تهذيب النفوس ، و تجديد الصلة بالله تعالى ، و التذكير بالآخرة ، و إيثارها على الدنيا ، و تجريد التوحيد ، و إخلاص الدين لله تعالى ، و ذلك كله من أهم مقاصد بعثة الأنبياء و من أعظم أهدافهم ، ولا يمكن أن يبقى الاسلام كدين و نظام خلق ، و أسلوب للحياة و دعوة مؤثرة حتى يكون له دعاة مجددون من هذا الطراز » (١) .

(١) رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام ، الجزء الأول ، ص/ ٢٠٢ — ٢٠٣ .

العالم الربانى الشيخ محمد أحمد الفولبورى فى ذمة الله

واضح رشيد الندوى

استأثر الله برحمته العالم الربانى الكبير الشيخ محمد أحمد الفولبورى فى ١٢/ أكتوبر ١٩٩١م عن عمر يناهض ٩٢ سنة، فى مدينة إله‌آباد على بعد حوالى مائتى كيلو متر من مدينة لكنؤ .

كان الشيخ محمد أحمد بقية السلف ولد فى فولبور بمديرة برتاب كراه و نشأ فى بيئة ريفية، ثم انتقل إلى لكهنؤ و تعلم بها واستفاد من الشيخ وارث حسن، ثم تتلمذ على الشيخ الربانى الكبير السيد بدر على شاه و أخـذ منه الاجازة، وكان الشيخ السيد بدر على شاه من تلاميذ العالم الربانى الكبير الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادى ، و هو من تلاميذ الشيخ عبـد العزيز بن الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولى الله الدهلوى ، و بذلك كان الشيخ محمد أحمد رحمه الله تعالى ينتسب إلى الشيخ عبد العزيز الدهلوى بواسطتين ، فانتقلت إليه مكارم هذه السلسلة الكريمة، فقد كان قوى التأثير، انخرط فى سلك أتباعه عدد كبير من العلماء و الباحثين ، و القادة و الزعماء من مختلف مجالات العمل ، وقد وسع دائرة ارشاده ودعوته بخطبه التى كانت تمتاز بأسلوب مؤثر شعبى، يرقق القلوب ، وكانت مواعظه تطابق الحال، وأفهام الناس ، تتخللها قصص وحكايات مؤثرة تميل القلوب، و كان يحضر مجالسه رجال من مختلف الطبقات الخاصة و العامة ،

ويستفيدون بها حسب مستواهم، لأنها كانت مجالس علم وأدب ، ووعظ فى وقت واحد ، فقد كان شاعراً ملهما ، وكان أهل الذوق والمعرفة يستفيدون منه لما كان كلامه يشتمل على معانى سامية و دينية و تربوية ، و مشاعر نبيلة بالاضافة إلى العاطفة و الشعور الحى ، فكان كلامه يحفظ كما كانت مواعظه و أقواله على ألسن الناس و قددون شعره ، و أقواله و مواعظه فى مجلدات عديدة .

يقول سماحة الشيخ الندوى فى تقديمه لديوان «عرفان المحبة» ، للشيخ محمد أحمد الذى صدر فى عام ١٩٧٩م .

« من يعرف الشيخ محمد أحمد الفولبورى ويعرف نشأته و بيئته التى عاش فيها وحياته ، لا يسعه أن يقدر أنه يحمل هذه الحرارة ، و هذه العواطف للمحبة و النشوة ، و الذوق العالى ، و هذه القريحة الوقادة ، و الذهن الثاقب ، فقاضت قريحته بهذا الكلام المليئ بالحياة ، و النشوة ، و المعرفة و المحبة ، فكان كالشراب الطهور ، و لا يصح لتسمية هذا الديوان لما يحمله من المعرفة للذات الالهية ، و النشوة فى محبته ، و الحرارة القلبية ، باسم غير « عرفان المحبة » و يدل هذا العنوان على الذوق العالى و حسن الاختيار » .

و يقول : « يشتمل هذا الديوان على كلام فيه حرارة و حياة ، و سمو و رفعة ، و حلاوة ، و لا تخلو منها أى قصيدة » .

ويقول المحدث الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمى : « صدرت مواعظ الشيخ الكامل بقية السلف العارف بالله الشيخ محمد أحمد فى أسلوب عذب سهل مؤثر يجذب القلوب ، ويرقق الحس والخيال ، وغير هذا الكلام حياة الكثيرين، و يصدر الآن ديوان شعره ، و هو يشتمل على كلام منظوم و هو ليس ككلام منظوم للشعراء العاديين يكون حكاية عن الزهور ، و النبات ، والسكر ، وأناشيد

الحياة ، و قضاياها ، و إنما هو كلام فيه حكاية عن النفس ، و معرفة الذات الالهية ، فان عنصر كلامه الرئيسى هو درس التوحيد ، وتوقير الرسالة ، و عاطفة الحب الصادق ، ونور المعرفة ، و السلوك و التربية الخلقية ، وإصلاح النفوس ، و شعره ليس كشعر أسد الله خان غالب ، و إنما يشبه شعر جلال الدين الرومى ، فانه يرشد بشعره إلى طريق كسب المعرفة الحقيقية ، و يثير فى القلب عواطف صادقة » .

قضى الشيخ محمد أحمد عمره كله فى الدعوة فكان يجول فى القرى والأرياف و المدن ، ويختلط بعامة الناس ، و يزور سكان المناطق الريفية النائية ، ويتحمل المشاق فى سبيله و يتحمل الأذى ، يأكل و يجوع ، و يقطع مسافات طويلة مشياً على الأقدام ، و قد ازداد الاقبال عليه فى آخر عمره فكان مرجع العلماء و العامة ، يزوره العلماء والدعاة ، وغيرهم من الأساتذة وأصحاب الحاجة يستشيرونه فى قضاياهم ، و يستفيدون من مواعظه و يطلبون منه الدعاء .

و كان الشيخ يحب العلماء و يكرمهم إكراما فائقاً ، و فى مقدمتهم الشيخ الندوى ، و كذلك كان الشيخ الندوى يكرمه ، و يزوره ، و يستشيره ، و قد زار الشيخ ندوة العلماء عدة مرات و أقام بها وأفاد بمواعظه ، و كان يهتم بشئونها ، و كان دائماً على صلة بها و أساتذتها و طلبتها .

و قد اشتهر الشيخ باستجابة دعواته ، و تأثيره ، فكان الناس يزدحمون إذا زار منطقة و يذكرون له أحوالهم و قضاياهم يطلبون منه الدعاء ، فكان يلقنهم و يدعوهم إلى ذكر الله ، وإخلاص العبادة له ، وإحسان النية فى سائر الأعمال ، و إصلاح المعاملات ، و التحلى بالأخلاق الفاضلة ، و اتباع الشريعة ، و ذلك بالموعظة الحسنة ، و أسلوب تلين له القلوب .

لقد كانت سمة الشيخ محمد أحمد التى كان يعرف بها فى أوساط الناس وكل من اتصل به اعترف بذلك ، هى المحبة ، فكان يكرم كل قادم و يعامله بغاية من المحبة والاكرام ويتحمل فى ذلك كل مشقة ،وفى حال مرضه الشديد عندما كانت تنتابه آلام شديدة وكان لا يقدر على الجلوس إذا زاره أحد كان لا يقصر فى إكرامه و إعظامه ، و يتهز هذه الفرصة لموعظته و إرشاده ، فى غاية من التواضع ، وكان هذا السلوك منه يسبب أحياناً فى تفاقم حالة مرضه ، ويزيد من آلامه ، لكنه كان يحتمل كل ذلك ،ويستقبل القادم بوجه طلق مستبشراً ، ويعرب عن ارتياحه بقدومه ، و ينطلق لسانه فى الموعظة و الدعاء و يبدو كأنه هو المستفيد ، كما قال شاعر : كأنك تعطيه الذى أنت سائله .

كان الشيخ محمد أحمد يعانى من أمراض متعددة منذ سنتين ، و قد انقطع عن الطعام و كانت تنتابه آلام المعدة ، لكنه لم ينقطع عن الموعظة و التربية ، فكان كلما أفاق و عادت إليه قوته استأنف عمله ، و ذلك إلى آخر أيام حياته ، و كان زائره لا يشعر بصبره و احتماله و اظهاره للاستبشار و الفرح بقدومه أنه فى ألم و لم يكن يعرف عن حالته الصحية إلا من يخدمه ويلازم صحبته ، ويعوده بصورة دائمة ،

توفى رحمه الله فى ليلة ١٢/ أكتوبر ١٩٩١م وحضر جنازته آلاف من محبيه و مسترشديه و دفن فى إله آباد ، وبذلك انقلبت صفحة مجيدة من تاريخ الدعوة والارشاد على طريق السلف الصالح ، و غابت عن الأعين شخصية جامعة مثالية للورع ، و العلم والأدب و المحبة لله تعالى ، و الجهد المتواصل للدعوة والارشاد ، تغمده الله برحمته و أدخله فسيح جناته و رفع درجاته .

ندوة علمية فى مدرسة الاصلاح « سرائى‌مير »

نظمت المؤسسة التعليمية المعروفة بمدرسة الاصلاح فى سرائى‌مير بمديرية أعظم جراه الهند ، ندوة علمية حول العالم الهندى الكبير الامام عبد الحميد الفراهى ، عن حياته و خدماته العلمية ، فى الفترة ما بين ٨ — ١٠ / أكتوبر ١٩٩١م الموافق ٢٨ — ٣٠ ربيع الأول عام ١٤١٢ه .

افتتح المؤتمر سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى بكلمة ترحيبية رحب فيها بهذه الندوة العلمية ، و أشاد بخدمات الامام الفراهى العلمية ، ولا سيما ما قد وفق إليه من الاسهام الوجيه فى مجال علوم القرآن الكريم ، وكان قد أحرز قصب السبق فى هذا المجال بين علماء عصره فى القرن الرابع عشر الهجرى المنصرم ، و قال : إن هذه الندوة ستتولى إبراز علومه و معارفه إلى ساحة الدراسة و التحقيق و الشرح و النشر لكى تعم فوائدها إلى جميع الأوساط العلمية و الثقافية فى داخل البلاد و خارجها ، وقال : إن هذه الندوه ستكون حافزا قويا على تمثيل حياة الامام العلمية و عبقريته الممتازة فى علوم القرآن ، ولكنه حذر مما إذا كان هناك اتجاه نحو اعتباره أكبر و آخر عالم دينى مثقف تبحر فى علوم القرآن ، و اعتقاد ما كتبه و ألفه فى هذا الموضوع ، الحرف الأخير ، ذلك أن كتاب الله تعالى بحر لا ساحل له ، و فيه من الأسرار و العلوم ما لا يأتى عليه الحصر ، و قد يعجز الدارس لكتاب الله و المتأمل فيه ، و الشارح له عن التوصل إلى آخر ما أودع الله فيه من الحكم و الحقائق ، لذلك فان هذه الندوة تمهد الطريق لنشر

فكر الامام الفراهى عن العلوم القرآنية و استكمال ما كان قد بدأه فى هذا المجال ، و تتيح فرصاً غالية للتدبر فى كتاب الله ، و استخراج كنوزه العلمية فى ضوء دراساته و تأملاته ، و ذلك حق يعود على جميع من ينتمى إلى مدرسته الفكرية و الدينية .

هذا و قد حضر الندوة كبار العلماء و المفكرين و الأساتذة و أصحاب الأقلام الاسلامية ، حتى إن عدد البحوث المقدمة إلى الندوة بلغ إلى أربعين بحثاً ، و بعد ما استمرت الندوة أيامها الثلاثة انتهت بنجاح .

ندوة رابطة الأدب الاسلامى العالمية فى بوفال

عقدت رابطة الأدب الاسلامى العالمية ندوتها العلمية السابعة فى مدينة بوفال عاصمة الولاية المتوسطة للهند ، على دعوة و استضافة من دار العلوم تاج المساجد ، فى الفترة التى بين ١٣/١٥ أكتوبر ١٩٩١م (٤ — ٦ ربيع الثانى ١٤١٢ه) حضرها الأدباء و المثقفون و الأساتذه و أصحاب العلم و الدين من جميع أنحاء الهند و خارجها ، و من جامعات الهند الكبرى و من المدارس و الجامعات الاسلامية فيها ، كما شرف الندوة مندوب رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة سعادة الأستاذ محمد ناصر العبودى الأمين العام المساعد للرابطة ، و فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعمانى من كبار علماء الحديث فى باكستان ، و كان موضوع الندوة (أدب الدعوة و الاصلاح) .

بدأت الندوة جلستها الافتتاحية برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس رابطة الأدب الاسلامى ، ألقى فيها فضيلة الأستاذ حبيب ريحان خان الندوى (القائم بأعمال الأمير لدار العلوم تاج المساجد ، و المستشار التعليمى فيها) كلمة ترحيب و استقبال ضافية ، أبدى فيها سروره و ارتياحه على

عقد هذه الندوة الأدبية فى رحاب دار العلوم تاج المساجد و استضافتها، و رحب فيها بالضيوف القادمين من أنحاء الهند و خارجها .

و ألقى سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى كلمة الرئاسة المستفيضة حول موضوع الندوة (أدب الدعوة و الاصلاح) مما كان له تأثير عميق فى نفوس الحفل (و قد نشرناها فى افتتاحية هذا العدد) .

كما تكرم ضيف الندوة سعادة الشيخ محمد ناصر العبودى بكلمته الفياضة التى أشاد فيها بالجهود الأدبية التى تبذلها رابطة الأدب الاسلامى فى مجال الأدب الاسلامى وإثرائه بأساليب مختلفة ، و تحدث عن رابطة العالم الاسلامى و مجهوداتها و برامجها الاسلامية فى سبيل الدعوة والقضايا الاسلامية فى العالم كله ، وقد أبدى إعجابه بالندوة و باخلاص القائمين عليها و على رأسهم سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن الندوى حفظه الله تعالى .

و استمرت الندوة ثلاثة أيام ألقيت خلالها البحوث التى ألفها المندوبون الكرام باللغتين العربية والأردية، و كان يبلغ عددها إلى أكثر من أربعين بحثاً ، و انتهت الندوة بقرارات أدبية و اجتماعية ، و كلمة قيمة لسماحة الشيخ العلامة الندوى و دعائه .

ومما يجدر بالذكر أن المسئولين عن دار العلوم تاج المساجد وفى مقدمتهم فضيلة الأستاذ حبيب ريحان خان الندوى القائم بأعمال أمير دار العلوم، وفضيلة الأستاذ محمد لقمان خان الندوى عميد دار العلوم و سعادة الدكتور مسعود عرفان ، بذلوا مجهودات غالية فى سبيل الاعدادات اللازمة للندوة وتنظيم الضيافة للمندوبين الكرام و توفير الراحة الكاملة لهم ، فالحمد لله الذى تتم بنعمته و جلاله الصالحات .

ندوة علمية لجمعية المثقفين المسلمين فى الهند

نظمت جمعية المثقفين المسلمين بالهند على دعوة من الدكتور محمد يونس النجرامى ، رئيس الجمعية ، ندوة علمية ، تحت رئاسة سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، بمدينة لكهنؤ، عاصمة ولاية أترابراديش يوم ١٩٩١/١٠/٦م، ضمت الندوة نخبة مختارة من رجال السياسية و أساتذة الجامعات والكليات والمعاهد العلمية و المثقفين من المسلمين وغيرهم ، فحضر فيها المستر مادهو راؤ سندهيا وزير السياحة و الطيران المدنى ، و المستر غلام نبى آزاد وزير الأمور البرلمانية ، و المستر سلمان خورشيد وزير التجارة ، عدا رجال السياسة الآخرين من أحزاب مختلفة ، و اكتظت القاعة بالمستمعين حتى اضطر عدد كبير منهم على القيام خارج القاعة طوال الندوة، وكان عدد كبير من الحضور من غير المسلمين .

وقد عنيت وسائل الاعلام بالندوة عناية بالغة ، فأذيعت خلاصة الخطب و الكلمات التى ألقيت فيها فى الاذاعة المحلية و المركزية و فى التلفزيون ، كما أولت الجرائد اليومية الأردية ، و الانكليزية و الهندية اهتماماً خاصاً بالندوة ونشرت أخبارها بعناوين جلية مع لقطات من صور المتكلمين و المستمعين .

ألقى سماحة الشيخ الندوى خطبته الرئاسية ، و قال فيها : لو فقدت البلاد — لا قدر الله — العلمانية والجمهورية و اللاعنف ، سوف لا تبقى البلاد كما هى ، وشبه سماحة الشيخ العلمانية بشجرة لا تقرب منها الحيات و العقارب و الدويبات السامة الأخرى ، وقال إنها ضمان لسلامة الشعب الهندى و سلامة البلاد، و قال منذراً للذين يدعون إلى إحياء الديانة والحضارة الهنديتين القديمتين وقال: إن التاريخ مثل الأسد النائم ، و السلامة كل السلامة فى المرور به و تركه نائماً ، و الخطر

كل الخطر فى إيقاظه و إثارته ، و الذين يدعون إلى إحياء التاريخ القديم إنما يعرقلون سير تقدم البلاد و يحاولون أن ترجع البلاد إلى الوراء بدل التقدم إلى الامام ، لو اشتغلنا باثارة القضايا التاريخية سوف تنقضى سنوات و سنوات فى هذا العمل الغير المجدى ، و سنتأخر عن ركب الحضارة بعدة سنوات و ربما بمدة قرن ، وهناك بعض الناس يقولون : إن المسلمين أجانب و عليهم أن يرجعوا إلى بلادهم القديمة، فقال سماحته : إن الآريين أيضاً قدموا الهند من الخارج و إذا كان لابد من الرجوع إلى التاريخ القديم فلنبدأ من الأول فالأول ، فالذى قدم الهند أولا يغادرها أولا ، و سيأتى المسلمون فى آخر القائمة .

وفى الأخير قام المستر مادهو راؤ ، وزير السياحة والطيران المدنى وضيف الشرف و ألقى خطاباً واضحاً و هاجم هجوماً عنيفاً على الرجعيين و العنصريين ، و أبدى سروره على أنه وجد فرصة للخطاب فى حضرة سماحة الشيخ الندوى وقال : إن الشيخ رمز للخير و البركة للبلاد ، وما دام مثل هذه الشخصية المخلصة موجودة فالبلاد لا تضل طريقها وستستمر و تتقدم على طريق الجمهورية والعلمانية، و إنه أيد قول سماحة الشيخ بأن العلمانية ضمان لاتحاد البلاد و تماسك الشعب ، إنه خاطب الهندوس وقال : عليهم أن يتقدموا و يقودوا حركة للعدل و المساواة والحب و الوئام ، و يحاربوا بكل قواهم حركات الرجعية و العنصرية ، و يكشفوا الذين يستغلون القضايا الدينية لمصالحهم ، و قال وزير السياحة : إننا بامكاننا أن نحل قضية معقدة مثل قضية المسجد البابرى و لابد له أن يتقدم الشيخ و يأخذ القضية فى يده ، و يمكن ذلك بشرطين ، أولا أن يبتعد جميع المتشددين و المتطرفين من الفريقين ، و ثانياً أن يبتعد عنها جميع الأحزاب السياسية حتى حزبه هو ، وتبقى القضية فى أيدى رجال الدين .

و انتهت الندوة بكلمة شكر من الدكتور منصور حسن .

المؤتمر العالمى للسيرة النبوية العطرة

عقدت الجامعة السلفية بمدينة وارانسى الهند ، المؤتمر العالمى للسيرة النبوية العطرة خلال فترة ١٧—١٨ من شهر ربيع الثانى ١٤١٢هـ الموافق ٢٧—٢٨ أكتوبر ١٩٩١م ، و ذلك برئاسة سعادة الأستاذ محمد ناصر العبودى الأمين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

افتتح المؤتمر بكلمة الأمين العام للجامعة السلفية فضيلة الأستاذ شاهد جنيد ، رحب فيها بالضيوف و المندوبين الكرام ممن حضروا المؤتمر من داخل الهند و خارجها ، و كانت كلمة ضافية تعبر عن مدى اهتمام الجامعة السلفية بالشئون الدعوية و التعليمية و الصحفية ، وعن ضرورة عقد مثل هذا المؤتمر فى الظروف الراهنة فى الهند و البلدان التى تعيش فيها الأقليات المسلمة .

و قد ألقى الضيوف القادمون من الدول العربية فى الجلسة الافتتاحية كلمات قصيرة باللغة العربية ترجمت من ساعتها إلى اللغة الأردية ، كما كانت لكلمة فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى أمير جمعية أهل الحديث لعموم الهند تأثير عميق فى نفوس المستمعين ، و كانت كلمة رئيس الحفل المؤقر سعادة الأستاذ محمد ناصر العبودى قد تناولت جميع الجوانب المتصلة بالموضوع ، استمع إليها الحاضرون بآذان صاغية ، و ترجمها فضيلة الشيخ عبد السلام السلفى بايضاح و فصاحة .

و كان من المقرر أن يصل سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى الجلسة الافتتاحية و قد بدأ رحلته إلى نارس عن طريق أعظم كره إلا أنه أصيب بارهاق شديد فى أثناء السفر حيث أشار عليه الأطباء بالاستراحة الكاملة وعدم متابعة السفر ، و هنالك بعث إلى المسئولين عن المؤتمر اعتذاره و وجه

مندوبه الخاص سعيد الأعظمى يبحث له ليقدمه إلى المؤتمر ، و قد كانت البحوث و المقالات التى أحضرها المندوبون إلى المؤتمر ذات قيمة علمية و أدبية و تاريخية ، إذا نشرت فى مجموعة تتسنى منها الاستفادة للجميع .

و قد عقد فى الليل اجتماع عام حضرته الجماهير المسلمة ألقيت فيه محاضرات دينية عامة ، و قد كان فى ضمن المحاضرين فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى أمير جمعية أهل الحديث لعموم الهند ، و فضيلة الشيخ عبد الرؤف الرحمانى ، الأمين العام لجامعة سراج العلوم فى نيبال ، و فضيلة الشيخ دكتور محمد لقمان السلفى ، مندوب الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والدعوة الارشاد بالرياض .

و قد كان فضيلة الدكتور مقتدى حسن الأزهرى ذا اهتمام كبير بالمؤتمر ، و كان يدير الجلسات بلباقة و براعة ، جزاه الله خيراً .

دكتور محمد يونس النجرامى ، مستشار جديد عن الهند

لرابطة العالم الاسلامى ، مكة المكرمة

أفادت الأنباء بتعيين الدكتور محمد يونس النجرامى رئيس جمعية المثقفين المسلمين فى الهند مستشاراً لرابطة العالم الاسلامى عن الهند ، و ذلك بموجب قرار أصدره الأمين العام لرابطة الاسلامى معالى الدكتور عبد الله عمر نصيف .

و الدكتور النجرامى نجل العلامة المرحوم محمد أويس النجرامى الندوى رئيس قسم التفسير سابقاً فى ندوة العلماء ، وهو أستاذ فى جامعة لكناؤ و قد سبق أن أختير رئيس الاكاديمية الأردية لولاية أترابراديش مرتين ، كما أن له مؤلفات عديدة باللغة الأردية و العربية ، و هو من كتاب صحيفة الرائد العربية الصادرة من ندوة العلماء ، كما أن له مشاركات فى ندوات علمية عديدة فى الهند وخارجها .

و إن أسرة المجلة إذ تتقدم إليه بالتهانى القلبية تتمنى له التوفيق و النجاح .